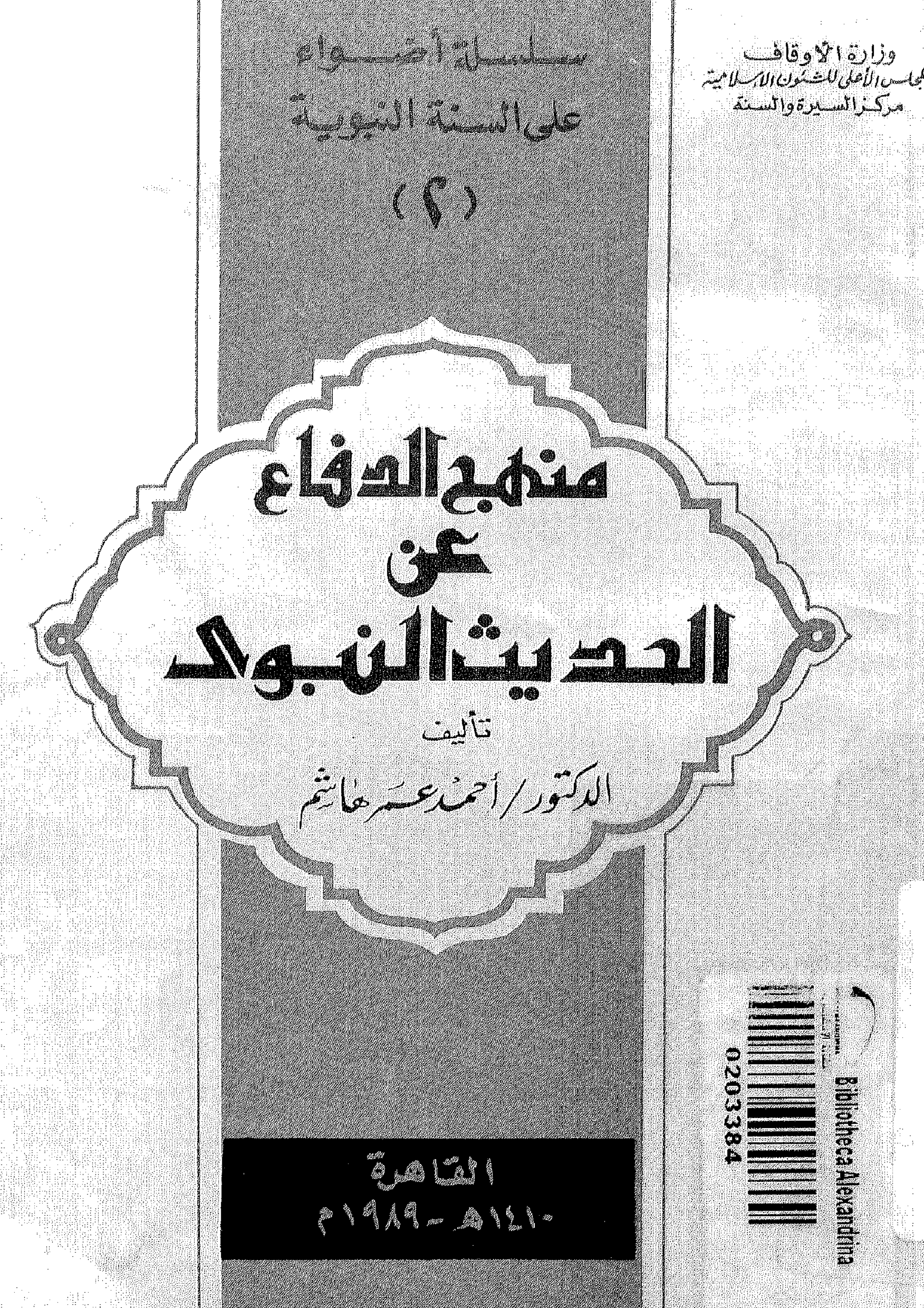

وزارة الأوقاف
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
مركز السيرة والسنة
سلسلة أضواء
على السنة النبوية
(٢)
منهج الدفاع
عن
الحديث النبوي
تأليف
الدكتور / أحمد عمر هاشم
القاهرة
١٤١٠هـ - ١٩٨٩م
Bibliotheca Alexandrina
02033384

وزارة الأوقاف
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
مركز السيرة والسنة

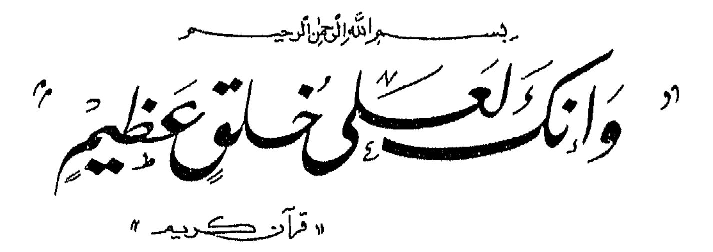
سلسلة أضواء
على السنة النبوية
(٢)

منهج الدفاع عن الحديث النبوي

تأليف
د/ أحمد عمر هاشم

مراجعة
الدكتور/ محمد الطيب النجار

القاهرة
١٤١٠هـ - ١٩٨٩م



« إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ »

« حديث شريف »

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

منهج الدفاع عن الحديث النبوى منهج قديم تمتد جذوره الى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه الأخيار الذين جلسوا اليه وتلقوا عنه واقتدوا به فى سلوكه وأفعاله . ذلك بأنهم كانوا أحرص الناس على ترسم آثاره والاهتداء بنوره . وهذا الحرص الشديد على الاقتداء بالرسول فى جميع أحواله واتباع الطريق الذى رسمه والتمسك بالمبادىء التى نادى بها والآداب التى دعا اليها . ذلكم هو فى حقيقته المنهج الراشد والطريق القاصد للحفاظ على السنة النبوية والدفاع المجيد عنها .

● والسنة النبوية هى الأصل الثانى من أصـــول التشريع الاسلامى وجميع ما فيها من أحكام ومبادىء وآداب متخذ من الوحى الذى أوحاه الله الى نبيه صلى الله عليه وسلم . وقد بين الله ذلك بقوله عن رسوله : ((وما ينطق عن الهوى . أن هو وحى يوحى)) وبين الرسول ذلك فيما يرويه الترمذى وابن ماجه عن المقدام بن معد يكرب أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((الا انى أوتيت القرآن ومثله معه)) .

● والسنة قد تكون بيانا وتوضيحا لما ورد فى بعض الآيات القرآنية التى جاءت مجملة والتى يمكن ان تذهب النفس فيها كل مذهب . فبينما يقرأ القارىء قوله تعالى « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى » وقوله : « وأقيموا الصلاة » يتساءل عن عدد الصلوات وعن كيفية اقامتها وعن أوقاتها وعن عدد الركعات فيها فيجد من السنة النبوية ما يرشده الى أنها خمس صلوات فى اليوم والليلة والى أن الصبح ركعتان والظهر اربع ركعات والعصر أربع ركعات والمغرب ثلاث والعشاء أربع . ويجد من فعل الرسول صلى الله عليه وسلم فى قيامه وركوعه وسجوده ما ينير أمامه السبيل ويضع يده على الغرض المقصود .

ومثل ذلك يقال عن الزكاة والصيام والحج وفى الأنواع المختلفة من العبادات والمعاملات حيث فصلت السنة احكامها وزادتها بيانا ووضوحا .

● وهكذا تكون منزلة السنة النبوية فى الدين ، فهى توضح نصوص القرآن وتبين مراميه ، وتكشف ما خفى او اشكل من معانيه ، ثم هى مع ذلك الأساس الأول فى التفصيلات الجزئية التى لم يتعرض لها الكتاب الكريم ، وقد أوحى الله بها الى رسوله ليرشده الى المنهج السوى والطريق الذى لا عوج فيه حتى يؤدى رسالته كاملة فى اسعاد البشر واخراجهم من الظلمات الى النور .

● وكان من عناية الله بالأمة الاسلامية وبالسنة النبوية أن مد الله فى أعمار عدد من اجلاء الصحابة فكانوا المرجع الذى يلجأ اليه من أراد التثبت والاستزادة ، ولهذا كثرت الرحلات فى سبيل

العلم فكان يرحل الصحابة والتابعون من بلد الى بلد ومن مصر الى مصر ليسمعوا الأحاديث الثابتة من الرواة الثقات ، فلقد روى عن عطاء بن أبى رباح أن أبا أيوب الأنصارى رحل الى عقبة بن عامر يسأله عن حديث سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبق أحد سمعه منه غيره ، فلما قدم الى منزل مسلمة بن مخلد ، وهو أمير مصر ـــ خرج اليه عقبة بن عامر فعانقه ثم قال له : ما جاء بك يا أبا أيوب ؟ قال : حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ستر المؤمن ، قال : نعم . سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((من ستر مؤمنا فى الدنيا على كربتـــه ستره الله يوم القيامة)) . ثم انصرف أبو أيوب الى راحلته فركبها راجعا من مصر الى المدينة .

● ويقول سعيد بن المسيب رضى الله عنه ((انى كنت لأسير الليالى والأيام فى طلب الحديث الواحد)) .

● وهكذا كانوا يستوثقون من الأحاديث النبوية بالرجوع الى المنابع الأصيلة والتنقيب عن مصادرها المختلفة مهما بذلوا من التضحيات وكابدوا من المتاعب .. وكانوا ينقدون الرواة ويدرسون حياتهم وتاريخهم فاذا عرفوا عن شخص عيبا خلقيا أو خلقيا يحول بينه وبين الاحسان فى الرواية جرحوه واعتبروه فى القائمة المهملة التى لا يوثق برواتها ولا يؤخذ عنهم وكان يدفعهم الى ذلك اخلاصهم لله وارسوله .

● وقد وضعوا قواعد دقيقة يميزون بها الحديث الصحيح من غيره . واشترطوا فى الحديث الصحيح ان يصح سنده وأن

يتوفر فى رواته جميعا الضبط والعدالة . كما وضعوا اسسا يميزون بها الأحاديث الموضوعة وهذه العلامات التى يتميز بها الحديث الموضوع توجد أحيانا فى سند الحديث وأحيانا فى متنه .. فمن علامات الوضع فى السند ان يكون الراوى كذابا معروفا بالكذب وليس هناك راد غيره من الثقاة . أو ان يعترف الواضع بالوضع أو ان يروى الراوى عن شيخ لم تثبت لعظاه به او ولد بعد وفاته .
أو أن يروى الراوى عن شيخ لم تثبت لقياه به او ولد بعد وفاته .

● ومن علامات الوضع فى المتن ركاكة اللفظ او عدم استقامة المعنى . أو مخالفته لصريح القرآن .

● الى غير ذلك من تلك القواعد الدقيقة التى كانوا يميزون بها الأحاديث ليعرفوا الصحيح من غيره وليخرجوا ما دخل الى السنة من روايات زائفة املاها الهوى والفرض والحقد على الاسلام والمسلمين .

وقد نشأت بسبب ذلك مدارس للحديث فى الأمصار الاسلامية المختلفة أساتذتها الصحابة وتلاميذها التابعون ثم أتباع التابعين وهكذا ، فكان الأستاذ من الصحابة يجلس فى المسجد وحوله حلقة من تلاميذه يسمعون منه ويروون عنه .. فكان فى المدينة من الصحابة أبو هريرة و عبد الله بن عمر ، وكان فى مكة عبد الله ابن عباس وكان فى الكوفة عبد الله بن مسعود وكان فى البصرة أنس بن مالك . وكان فى الشام معاذ بن جبل وعبادة بن الصامت. وكان فى مصر عبد االله بن عمرو بن العاص ، وكثير غيرهم ، وهكذا انتشر الصحابة فى الأمصار الاسلامية نجوما هادية يتجمع الناس

اليها ثم يسيرون فى ضوئها • وكان هؤلاء الصحابة يتنقلون فى الأمصار الاسلامية ويرحل بعضهم لبعض اذا شـــكوا فى حديث او أرادوا الاطمئنان الى رواية •

وبهذه الدقة البالغة والعنايه الكاملة وعلى هذا المنهج القويم كان حديث الرسول صلى الله عليه وسلم يتنقل بين الرواة الثقات والحفاظ الحاذقين حتى سجله العلماء السالفون فى كتبهم الخالدة بعد أن غربلوه ونخلوه ونقذوه نقد الصير فى الحاذق ووقفوا على علله وامراضه وقفة الطبيب البارع ثم خرجوا على المجتمع الاسلامى بما ثبت اديهم من الأحاديث الصحاح وهى تلك الكنوز القيمة التى يتوارثها المسلمون جيلا بعد جيل والتى استقر بها أمر الســـنة النبوية ورسخت جذورها واينعت ثمارها تتحدى كيد الأعداء وتهزا بالأعاصير والأنواء •

ذلكم قبس يسير مما سيراه القارىء حينما يطالع هذا السفر القيم الذى بعثه العالم الجليل الأستاذ الدكتور احمد عمر هاشم وسماه ((منهج الدفاع عن الحديث النبوى)) وانه لمن الحق أن نقول انه منهج راشد وطريق قاصد وثمرة طيبة مباركة • ولقد شـــاء الله ان يخرج هذا الكتاب فى الوقت الذى كثر الهجوم فيه على السنة النبوية من اعداء الحق وخصوم الاسلام الذين يريدون ان يطفئوا نور الله ويشككوا فى دينه الحنيف ، وهاهو ذا الباحث الفاضل يواجه المستشرقين الذى خدعوا بالسراب وتعلقوا بالأوهام فيفند مزاعمهم واباطيلهم بالحجج القوية التى لا ريب فيها ويعقد لذلك فصلا خاصا تحت عنوان ((السنة فى مواجهة المستشرقين)) وقد

تعقبهم الباحث فيما يأفكون ويزعمون وكشف النقاب عن مفترياتهم وابطلها جميعا بالمنطق السليم والبرهان القويم ٠

● ويمضى الباحث بعد ذلك مدافعا عن حجية السنة وموضحا الأسس القوية التى اشترطها العلماء فى رواة الحديث حتى تقوم حجتهم وتقبل روايتهم ، وفى خلال ذلك يتعرض الباحث للوضع فى الحديث ومقاومة العلماء له وكيف وقف الجمهور الأعظم من المسلمين موقفا حازما كريما أملاه عليهم حبهم للرسول صلى الله عليه وسلم وغيرتهم على الدين من الأحاديث الا ما قامت الأدلة والشواهد على صحته وقوته ولم يعتمدوا من الرواة الا من عرفوا بالصدق والأمانة والضبط والعدالة ٠

وأخيرا يقف الباحث شاهرا سيف الحق أمام تلكم الجماعات الضالة التى أطلت برءوسها فى هذا العصر واثارت شبهات زائفة ومطاعن كاذبة حول السنة النبوية كانكارهم الأحاديث القدسية وانكارهم للشفاعة وانكارهم للايمان بالغيب الى غير ذلك ٠ ثم يرد على تلك الشبهات والمطاعن بما يثبت القلوب القلقة ويهدى النفوس الحائرة ويزيد المؤمنين ايمانا ويقينا ٠

وبعد فهذا كتاب عظيم الفائدة عميم العائدة وقد قام بكتابته عالم جليل له فى خدمة السنة اثر بارز وباع طويل ٠ ونسال الله أن يزيده توفيقا وسدادا ، ويبارك جهوده فى خدمة العلم والدين ٠

هذا ، ومن الله العون وبه التوفيق ٠

أ.د./ محمد الطيب النجار

المشرف العام على مركز السيرة والسنة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على اشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين . أما بعد :

فان للسنة النبوية مكانتها فى الاسلام ، فهى المصدر الثانى للتشريع الاسلامى ، وتتضح مكانتها وحجيتها ، ومنزلتها فى الدين بما أوجبه رب العزة سبحانه من طاعة صاحبها عليه افضل الصلاة واتم السلام ، فقد قرن الأمر بطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم بالامر بطاعته سبحانه حيث قال :

○ ــــــــــــــــ ﴿ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾

وقال تعالى :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟

(١) سورة آل عمران (٣٢) .

ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ
إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ۚ ﴾ (١)

ففى الآية الأولى جاء الأمر بطاعة الله مقرونا بالأمر بطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم بالعطف بالواو ، حيث يفيد ذلك مطلق الاشتراك والجمع بينهما .

وفى الآية الثانية : عطف بالواو مع اعادة العامل وهو الفعل: (.. واطيعوا ..) حيث يفيد ذلك تأكيد عموم الطاعة فى كل ما يصدر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

كما أمر الله تعالى بطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم على الانفراد فى قوله تعالى :

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا
فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ (٢)

وقال سبحانه :

﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ۚ ﴾ (٣)

---

(١) سورة النساء (٥٩) .
(٢) سورة النساء (٦٥) .
(٣) سورة الحشر (٧) .

وكما اوجب الله تعالى طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ، انه سبحانه بين ان رسوله صلى الله عليه وسلم هو المبين لقرآن الكريم :

﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ (١)

والرسول صلى الله عليه وسلم حين يبين للناس ما نزل اليهم لا يصدر فى بيانه من تلقاء نفسه ، وانما يتبع ما يوحى اليه ، « **ان اتبع الا ما يوحى الى**(٢) » ، ولهذا جعل الله تعالى طاعة رسوله طاعة له ، واوجب على المسلمين اتباع بيانه فيما يأمر وينهى .

قال تعالى :

﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ (٣)

وان ما حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما حرم الله تعالى ، كما جاء فى الحديث الصحيح : روى المقدام بن معدى كرب قال :

« حرم النبى صلى الله عليه وسلم اشياء يوم خيبر منها الحمار الاهلى وغيره ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« يوشك ان يقعد الرجل منكم على اريكته يحدث بحديثى

---

(١) سورة النحل (٤٤) .
(٢) سورة الأنعام (٥٠) .
(٣) سورة النساء (٨٠) .

فيقول : بينى وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه حلالا استحللناه ، وما وجدنا فيه حراما حرمناه وان ما حرم رســـول الله كما حرم الله(١) .

لذا كان للسنة النبوية أهميتها ، وكان للقائمين على روايتها وتدوينها والدفاع عنها منزلتهم عند الله .

ولقد دعا الرسول صلوات الله وسلامه عليه بالنضرة لمن بلغ عنه شيئا ، عن أبى مسعود رضى الله عنه قال : ســـمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ((**نضر الله امرءا سمع منا شيئا فبلغه كما سمعه فرب مبلغ أوعى من سامع**(٢) .

وفى فضل الذين يروون الأحاديث ويعلمونها الناس روى عن ابن عباس — رضى الله عنهما — قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : ((**اللهم أرحم خلفائى ، قلنا : يا رسول الله ومن خلفاؤك ؟ قال : الذين يأتون من بعدى يروون أحاديثى ويعلمونها الناس**(٣) .

ويسعدنى ويشرفنى أن أكون أحد المجندين والخادمين لسنة رسولنا صلوات الله وسلامه عليه ، وأى شرف أعلى وأغلى من هذا الشرف ، فللسنة النبوية مكانتها فى الاسلام التى لا تخفى على أحد من المسلمين ، ولها اهميتها فى الدين ، بحيث لا يمكن الوقوف

---

(١) رواه الترمذى .
(٢) رواه أبو داود والترمذى وابن حيان .
(٣) رواه الطبرانى فى الأوسط .

على تفاصيل العقيدة والتشريع والسلوك الا عن طريقهـا بعد القرآن الكريم ، ومن اجل هذا : تعرضت لسهام أعداء الاسلام من المبشرين والمستشرقين ، وهذا الكتاب :

مواجهة لخصوم السنة ، الذين يحاولون النيل منها ، والكيد لها والمكر برجالها : ((**ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين**)) .

وقد حاولت أن اقدم فى هذا الكتاب صورة لجهود العلماء فى حفظ السنة ، ومواجهة للمستشرقين الذين أثاروا حولها بعض الشبه ، كما دافعت عن حجيتها ، وأبرزت مقاومة الأئمة والعلماء لحركة الوضع والوضاعين ، ثم تكلمت عن السبب فى عدم الاحتجاج بها فى النحو والصرف ، وانه ليس لقصور فى روايتها وانما لقصور لدى النحاة واللغويين ، كما قمت بالرد على الشبهات الحديثة والله اسأل ان يجعله عملا خالصا لوجهه الكريم ، وأن يجزينا عنه خير الجزاء : فى الدنيا والآخرة ، وأن يوفق كل الباحثين والمخلصين واهل الغيرة على الكتاب والسنة ، وأن يغفر لنا ولوالدينا ، انه سبحانه سميع قريب مجيب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أ.د. أحمد عمر هاشم
نائب رئيس جامعة الأزهر

فصول الكتاب

الفصل الأول : جهود العلماء في حفظ السُّنة .

الفصل الثاني : السُّنة في مواجهة المستشرقين .

الفصل الثالث : دفاع عن حُجية السُّنة .

الفصل الرابع : الوضع في السنة ومقاومة العلماء له .

.. الاحتجاج بالحديث في اللغة والنحو .

الفصل الخامس : ردّ المطاعن التي أُثيرت حديثاً .

الفصل الأول

جهود العلماء في حفظ السنة

"العناية بحفظ السنة ونشرها"

● جهود العلماء فى حفظ السنة
« العناية بحفظ السنة ونشرها »

لقد ادرك سلفنا قيمة السنة واهميتها ، فأولوها عناية فائقة ، بحفظها ، ونشرها ، وتبليغها .

وفى أعناقنا — نحن — اليوم أمانة ضخمة تمليها علينا عقيدتنا وواجبنا تجاه خدمة السنة الشريفة حفظا لها وتبليغا وعملا بها وتطبيقا .

واذا نظرنا الى جهاد رسولنا صلوات الله وسلامه عليه فى سبيل الله ، ومن اجل هذا الدين وتبليغه ، وتوضيحه ونشره ... ونظرنا الى جهود الصحابة والتابعين ، وأتباع التابعين والأئمة المجاهدين المخلصين .. ورجال السنة الذين جاهدوا وكابدوا ، وعانوا فى سبيل تدوينها وحفظها ، وشرحها وخدمتها حتى وصلت الينا جيلا بعد جيل ، تتألق بالهدى الالهى ، وتشع بنور النبوة ، وتنقل الينا كل قول وفعل للرسول عليه الصلاة والسلام .

اذا نظرنا الى كل هذا : أحسسنا بعظم المسئولية وضخامة التبعة ، واحسسنا بواجبنا الذى لا يعادل — لو قمنا به على اكمل وجه — معشار ما قاموا به .

ففى عهودنا : تنوعت وسائل الكتابة ، والطباعة والاعلام وبين أيدينا أمهات الكتب والدواوين المستوعبة ، والجوامع والمسانيد ، التى لم تكن متوفرة قبل ذلك .

ومن أجل هذا : فان واجبنا تجاه السنة الشريفة يلزمنا بأن نقوم بدراستها ، والذود عن حماها .. ورد كل ما يثار من أباطيل الأعداء وشبههم ، ومن محاولاتهم اليائسة فى الوضع والدس والاختلاق .

ولقد لعبت ايدى أعداء السنة أدوارا كبيرة ، حدت بجهابذة الحديث الى تنقيته من كل دخيل ، ورد كل افتراء ، وكان علينا اليوم أن نتعرف على همم سلفنا ، والعوامل التى دفعتهم لحفظ السنة الشريفة ونشرها ، حتى نترسم خطاهم .. ونتعرف على أول الطريق ، لتكون مسيرة الخلف موصولة بالسلف .

وان أول الطريق : يبدأ مع بداية هذه الرسالة الخاتمة .. فقد قام الرسول الكريم بأداء الرسالة خير قيام ، وأدى الأمانة الالهية على أكمل وجه ، وتحمل فى سبيلها ما تحمل .

ولقد صبر صلوات الله وسلامه عليه ، واستعذب الأذى حتى أرسى دعائم الدعوة ، وأقام دين الله تعالى .

* وهناك عوامل كثيرة تضافرت فى دفع المسلمين وحفزهم لخدمة الحديث ، وهذه العوامل جعلتهم يقبلون اقبالا شديدا على السنة الشريفة ودراستها .

وعلى رأس هذه العوامل : « القدوة الحسنة » .

وقد تمثلت هذه القدوة : فى رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، استجابة لقول الله تعالى :

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ (١)

وهذه القدوه : لا تتأتى الا بمعرفة اقوال الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأفعاله وتقريراته ، وصفاته ، ويتبع المعرفة .

العلم بالسنة ، وحفظها وفهمها .

ويتبع العلم : العمل بما يعلمون .

ولقد وجد المسلمون فى القرآن والسنة حثا على العلم والعمل ، والسعى والبحث ، والسفر والرحلة من أجل تحصيل العلم وتبليغه ، ونشر السنة وحفظها ، وتبليغها للناس .

قال الله تعالى :

○ ــــــ ﴿ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ (٢)

---

(١) سورة الاحزاب (٢١ ؛

(٢) سورة التوبة (١٢٢ ،

* وكان المسلمون حينئذ يتمتعون باستعداد فطرى قوى وذوق عربى أصيل ، وذاكرة واعية أمينة ، حركت هممهم الى تلقف السنة بشوق ونهم ، وحب واخلاص .

وكان لهذه العوامل وغيرها أثرها .. فالتفوا حول رسولهم صلوات الله وسلامه عليه ، ونهلوا من معين سنته المطهرة ، التى وجدوا فيها مادة خصبة : لدينهم ودنياهم وأخراهم ، تكفل لهم سعادة الدارين ، لأن أحكامها الكريمة ، وآدابها الفاضلة تتصل بالعقيدة والشريعة والأخلاق .

بل انها تتصل بجميع آدابهم وأحوالهم ومعاملاتهم ، ليكونوا على نور وهدى .

والمتتبع لمجالس السنة المطهرة فى رحاب الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، يجدها : كانت تشع بالنور والهدى .

وقد حرص الرسول صلى الله عليه وسلم على تبليغ المسلمين سننه الشريفة ، وحبب الى أصحابه — رضوان الله عليهم — حفظ الحديث وتبليغه .

ووضع منهج التلقى والتحديث ، وأرسى بينهم قاعدة التثبت العلمى التى ساروا عليها ، واتخذوها منهجا فى الرواية بعد ذلك.

وسار الصحابة فى حرصهم على حضور مجالس الرسول صلى الله عليه وسلم الى جانب ما يقومون به من أمور المعاش .

واذا تعذر على بعضهم الحضور ، يتناوب مع غيره ، كما كان يفعل عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، قال :

« كنت أنا وجار لى من الأنصار فى بنى أمية بن زيد ، وهى من عوالى المدينة ، وكنا نتناوب النزول على رسـول الله صلى الله عليه وسلم ، ينزل يوما ، وأنزل يوما ، فاذا نزلت جئته بخبر ذلك اليوم من الوحى وغيره ، واذا نزل فعل مثل ذلك » .

ولم يكن يتسنى للجميع سماع الحديث من الرسول صلى الله عليه وسلم ، لما كانوا يقـومون به من أعمـال ، فكانوا يطلبون ما يفوتهم سـماعه من أقرانهـم ، وكانوا يشـددون على من يسمعون منه .

كما كانت القبائل البعيدة تبعث الى النبى صلى الله عليـه وسلم من يتعلم أحكام الدين منه ، ثم يعود اليهم ، ليرشـدهم ويعلمهم .

وهكذا : عاش الصـحابة ــ رضـوان الله عليهم ــ مع رسولهم صلوات الله وسلامه عليه يشاهدون تصرفاته : فى عباداته ومعاملاته ، واذا عن لهم أمر من الأمور ، يحتاجون الى بيـانه ، رجعوا اليه يسألونه ، فيجيبهم ويفتيهم .

كما كان الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، يعلم النساء امور الدين ويخصص وقتا يجلس لهن فيه ، وكانت أمهات المؤمنين على درجة عالية من العلم ، لذا وجد النساء عندهن الاجابة على

أمورهن وأحوالهن ، التى يمنعهن الحيـــاء من التصريح بهـــا أمام الرسول صلى الله عليه وسلم ، كالأمور الخاصة بهن .

والى جانب هذه العوامل السابقة : كانت هناك طرق كثيرة ساعدت على انتشار السنة ، قوى نشاطها : اجتهـــاد الرسول صلى الله عليه وسلم فى التبليغ، وأثر أمهات المؤمنين الذى لا ينكر .

※ ومن هذه العوامل أيضا : بعوثه صلوات الله وســـلامه عليه الى القبـــائل ، لتعليمهم وارشـــادهم .. وكتبه الى الملوك يدعوهم الى الاسلام .

كما كان لغزوة الفتح أثر كبير فى نشر كثير من السنن حيث قام النبى صلى الله عليه وسلم خطيبا بين ألوف المسلمين وغيرهم . معلنا العفو العام عن أعدائه ، مبينا كثيرا من الأحكام التى تناقلها الناس ، وحملوا توجيهه وارشاده الى أهليهم .

وبعد أن استتب الأمر يمم النبى صلى الله عليه وسلم وجهه شطر المسجد الحرام ، حاجا ، ومعه ألوف من المسلمين وألقى فيهم خطبته الجامعـــة ، التى تعتبر ـــ بحق ـــ أعظم منهـــاج ختامى للدعوة الاسلامية .

فقد تضمنت كثيرا من الأحكام والسنن ، وبين فيها رســـول الله صلى الله عليه وسلم مناسك الحج ، ووضع من آثار الجاهلية ما أبطله الاسلام ، فكانت هذه الخطبة العظيمة ، من أعظم عوامل انتشار السنة بين كثير من القبائل والعشائر .

ومن المعلوم : ان الصحابة ــ رضوان الله عليهم ــ لم يكونوا فى مستوى واحد من العلم ، بل كانت تتفاوت درجاتهم العلمية ما بين مكثر ومقل ، ومتوسط ، تبعا لظروف كل واحد منهم.

وكان من بينهم البدوى والحضرى ، والمنقطع للعبادة والمشتغل بأمر المعاش ، وكان أكثرهم علما أسبقهم اسلاما ، كالخلفاء الأربعة ، وعبد الله بن مسعود .. او أكثرهم ملازمة للرسول صلوات الله وسلامه عليه : كأبى هريرة ، أو أكثرهم كتابة : كعبد الله بن عمرو بن العاص .

وكان الصحابة رضوان الله تعالى عليهم يدعون ربهم سبحانه أن يرزقهم علما لا ينسى .. فكانوا لا يقتصرون على همتهم وقوتهم ، وذاكرتهم ، ولكنهم كانوا يجمعون الى جانب العلم العمل ويكثرون من الدعاء ، حرصا منهم على حفظ السنة الشريفة ، والوقوف على دقائق الدين وعلومه وأحكامه .

※ وأكثر الصحابة حديثا وحفظا : « ابو هريرة » رضى الله عنه .. وفى « المستدرك » عن زيد بن ثابت قال : « كنت أنا وأبو هريرة وآخر عند النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال :

أدعوا ، فدعوت أنا وصاحبى ، وأمن النبى صلى الله عليه وسلم . ثم دعا ابو هريرة فقال : اللهم انى اسألك مثل ما سألك صاحباى ، وأسألك علما لا ينسى ، فأمن النبى صلى الله عليه وسلم .

فقلنا : ونحن يا رسول الله كذلك .

فقال : سبقكما الغلام الدوسى » .

ويتضح من كل ذلك : أن السمات العامة للمسلمين آنئذ تبرز لنا الدوافع القوية التى حفزتهم لتلقى السنة الشريفة ، حتى أودعوها حوافظهم القوية ، وصدورهم الأمينة ، مما جعل السنة محفوظة جنبا الى جنب مع القرآن الكريم .

* وواجبنا اليوم : أن نحرص على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وننفى عنها تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين وأن نصونها من سهام أعداء هذا الدين ، الذين يتربصون به الدوائر ، أولئك الأعداء ، الذين أدركوا أن سر عظمة هذه الأمة ــ سلفا وخلفا ــ قد تمثل فى الكتاب والسنة ، فهاجموا هذين الأصلين ، وحاول أعداء الاسلام اقتحام القرآن الكريم وتحريفه ، ولكنهم باءوا بالفشل الذريع فقد تكفل الله بحفظه ،

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (١)

كما حاولوا الدس فى كتب التفسير والحديث . وقامت جمعياتهم السرية ، وغزوهم الفكرى ، مستخدمين أبواق الاستشراق الملحد ، محاولين رفع معاول الهدم ، ومشهرين الأقلام المسمومة ، للطعن فى علوم الدين ، وعلى رأسها ، السنة الشريفة، ولكنهم باءوا كذلك بالفشل الذريع ، فقد نهض الأئمة الاعلام ،

---

(١) سورة الحجر (٩) .

ودونوا هذا العلم الشريف ، وقعدوا له القواعــد الأصلية التى تكشف الدخيل والمدسوس، وصانوا السنة من التحريف والتزييف.

ومازال الجهاد فى سبيل أعظم تراث فى هذه الدنيا موصولا بهمم العلماء والباحثين ، والكتاب والمفكرين من أبنـــاء الاسلام وعلمائه ، ورجال السنة فى كل جيل وفى كل عصر ، وفى كل مكان .

وبحمد الله : قامت النهضات العلمية فى البلاد الاسلامية فى المعاهد والمدارس والجامعات مما يبشر بنجـــاح ونصر قريب ، ونهضة كبرى فى الصناعة الحديثية ، ودراسة أصـــول الحديث النبوى ، وتحقيق مخطوطاته . نسأل الله تعالى : أن يكلل هذه الجهود بالتوفيق والنجاح وأن تتجاوب مع أصداء هذه النهضـــة جميع البلاد الاسلامية حفظا للســـنة ، وحراسة للتراث ، وتبليغا للدعوة .

ولنلق الآن بعض الضوء على خطوات النقد ومراحله لدى المحدثين لنتعرف على عنايتهم الفائقة فى تتبع قواعــد الضـــبط والتحرى ، حفاظا على السنة الشريفة .

النقد عن المحدثين

لقد تمخضت بحـــوث المحدثين وجهودهم فى تدوين الســـنة النبوية الشريفة الى علوم دقيقة ، كانت بحق قمة ما وصل اليه الفكر البشرى فى نقد الرجال ، ووزنهم الصحيح ، وهى : أصح ما عرف فى التاريخ كله من القواعد العلمية السليمة للرواية .

وهى : قواعد ليس بعدها مجال للتثبت والتأكد والحيطة .

وهذه العلوم هى : ما تسمى بعلم أصـــول الحديث ، أو : علم الحديث دراية ، ذلك : أن علم الحديث ينقسم الى قسمين :

* علم الحديث رواية : وهو : علم يعرف به ما أضيف الى الرسول صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير أو صفة.

* وعلم الحديث دراية : وهو : علم بقوانين يعرف بها أحوال السند والمتن ، أو كما عرفه الحافظ ابن حجر : « معرفة القواعد المعرفة بحال الراوى والمروى » .

وعلم أصول الحديث : نشأ مع نشـــأة الحديث ، اذ كانوا يطلبون من الراوى التثبت ، وينقدون المرويات .

وقد ازداد الحـــرص على هذا ، منذ وقوع الفتن ، فكانوا يقولون : « سموا لنا رجالكم » . كما زاد الطلب أيضا عندما قـــام ابن شهاب الزهرى بجمع الحديث من حامليه فى الدفاتر والصحف.

ثم بعد ذلك : كتب الإمام الشافعى بعض المسائل فى كتابيه : « الرسالة » و « الأم » .

وكان أول من ألف فى بعض بحوث هذا العلم ، هو : الامام على بن المدينى . كما تكلم فى مسائله : البخارى ومسلم والترمذى، وقام الترمذى ، فأشاع مسائل هذا العلم ، وجمع بعضها فى خاتمة جامعه . فتدوين علوم الحديث اذا : ابتدأ فى أبواب ، وفى بعض أنواع منه ، الا أن المؤلفات فى بادىء الأمر كانت غير جامعة لكل

أنواعه فى كتب خاصة ، ولا مستقلة قائمة بذاتها ، وانما تعرضوا لبحث هذه العلوم أثناء تأليفهم ، وجمعهم للروايات . فمنهم من جعلها مقدمة لمؤلفه كما فعل الامام مسلم ومنهم من جعلها خاتمة تبين مراده من المصطلحات ، كما صنع : الترمذى فى آخر جامعه ، وعنى الامام البخــارى فألف كتبه فى التواريخ الثــلاثة الكبير ، والأوسط ، والصغير .

كما ألف أيضا فى تاريخ الرواة : الامام محمد بن سعد كتاب : « الطبقات الكبرى » . وألف البعض فى الثقات : كأبى حاتم بن حبان . وخصص البعض مؤلفــات فى الضعفاء والعلل ككتاب : « الضعفاء » للبخارى ، وكتاب : « الضعفاء » للنسائى .

ورأى بعض العلماء أن هذه الكتب قد تضمنت اصطلاحات خاصة بأهل الحديث ، وقواعــد كثيرة لهم ، يعرف بها المقبــول والمردود ، ففكروا فى تخليصها من هذه الكتب ، وجمعها فى علم خاص ، وتدوينها فى كتب مســتقلة ، وكان ذلك فى القرن الرابع الهجرى ، حيث نضجت العلوم واستقر الاصطلاح .

فألف القاضى أبو محمد الحســن بن عبد الرحمن بن خــلاد الرامهرمزى المتوفى سنة ٣٦٠ هجرية كتابه : « المحدث الفاصل بين الراوى والواعى » فجمع كثيرا من أنواع هذا العلم ، وكان أول من وضع كتابا مستقلا فى علوم الحديث ، ولكنه لم يستوعب جميع بحوثه .

ثم صنف الحاكم أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابورى

المتوفى سنة ٤٠٥هـ كتابه : (معرفة علوم الحديث) ولكنه لم يهذب ولم يرتب .

ثم الف الحافظ الخطيب ابو بكر البغدادى المتوفى سنة ٤٦٣هـ كتابه فى اصول الحديث ، سماه « الجامع لآداب الشيخ والسامع » ... ثم كثر التأليف بعد ذلك .

وتفرعت الدراسة فى هذا المجال الواسع من المعرفة الى علوم كثيرة من اهمها : « علم الجرح والتعديل » .

وقد أدى حرص العلماء على معرفة احوال الرواة لتمييز الصحيح من غيره الى نشأة « علم الجرح والتعديل » ، أو علم « ميزان الرجال » . وهو علم يبحث عن الرواة من حيث ما ورد فى شأنهم من تعديل يزينهم ، أو تجريح يشينهم .

وتكلم فى هذا العلم كثيرون من عهد الصحابة المتأخرين من العلماء ، فمن الصحابة : ابن عباس وعبادة بن الصامت .

ومن التابعين : سعيد بن المسيب والشعبى .

واما ابتداء التصنيف ووضع الكتب فى الجرح والتعديل فقد كان بعد ذلك . وكان من أوائل الذين الفوا فى هذا العلم : « الامام يحيى بن معين » و « والامام احمد بن حنبل » و « الامام محمد بن سعد » و « الامام البخارى » و « الامام مسلم » و «الامام ابو داود » و « الامام النسائى » .

ثم كثر التأليف بعد ذلك .

ومن كتب فى الثقات والضعفاء : أبو اسحاق ابراهيم بن يعقوب بن اسحاق السعدى الجوزجانى المتوفى سنة تسع وخمسين ومائتين .

« والتعديل » هو وصف الراوى بما يقتضى قبول ما يرويه والعمل به ، ويدل عليه قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « نعم الرجل عبد الله — يعنى ابن عمر — لو كان يصلى من الليل » .

والجرح : هو وصف الراوى بما يقتضى عدم قبول روايته .

ولما كان الجرح ضروريا فى الدين ، وترتبط معرفة الرجال به، لكشف أحوال الكذابين ، والوضاعين والفسقة كان جائزا فى الاسلام ، لما يترتب عليه من صيانة الشريعة الاسلامية من الدس والوضع ، وتمييز العادل من الفاسق ، والصادق من الكاذب ، والضابط من غيره .

ويدل على جواز الجرح بل وعلى وجوبه : قول الله تعالى :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ ﴿٦﴾ ﴾(١)

ومن السنة : ما روى عن عائشة رضى الله عنها : (أن رجلا استأذن على النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : (ائذنوا له بئس أخو العشيرة) متفق عليه .

---

(١) الحجرات آية ٦

وما رواه البخارى ، عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(ما أظن فلانا وفلانا يعرفان من ديننا شيئا) قال الليث بن سعد أحد رواة هذا الحديث :

هذان الرجلان كانا من المنافقين .

ومما ذكره الامام النووى فى كتابه : « رياض الصالحين » من أسباب أباحة الغيبة ، لغرض صحيح شرعى ، لا يمكن الوصول اليه الا بها :

تحذير المسلمين من الشر ونصيحتهم ، وذلك من وجوه منها : جرح المجروحين من الرواة والشهود ، وذلك جائز باجماع المسلمين بل واجب للحاجة .

ومنها : المشاورة فى مصاهرة انسان أو مشاركته أو ايداعه أو معاملته أو مجاورته أو غير ذلك . وعلى المشاور ، الا يخفى حاله ، بل يذكر المساوىء التى فيه بنية النصيحة .

وصاغ المحدثون شروطا وقواعد للنقد ، وجعلوا كلا من الجرح والتعديل مراتب .

كما اشترطوا لمن يتصدى لنقد الرجال ، وللجرح والتعديل أن يكون عدلا ضابطا ، عالما بأسباب الجرح والتعديل ، حتى لا يترتب على حكمه خطأ أو تقصير ، فيعدل من ليس أهلا للعدالة ، أو يجرح من ليس مجرحا .

وأن يكون عالما تقيا ورعا ، مجردا من التعصب والأهواء حتى لا يميل الى جانب أحد من الناس ، فيحكم له ، أو يتحامل على آخر فيحكم عليه ويجرحه ، فهو بمنزلة القاضى العادل الذى يتحرى الحقيقة ، والصواب ، ليحكم بما يرضى الله تعالى ورسـوله عليه الصلاة والسلام . كما اشترطوا فيمن يتصدى للتجريح والتعديل : أن يكون ذا اطلاع واسع ، وبحث عميق طويل ، وخبرة قوية ، وعالم بطبائع النفوس البشرية ، وغير ذلك من الأمور التى تساعده على الوصول الى وجه الحق ، فلا يدلى برأيه فى النقد دون بينة ودليل ، أو بحث وتنقيب . بل عليه أن يتورع فيما يقـول ، وأن يتقى الله فيما يتصدى له من حكم ، حذرا من انتهاك الأعراض ، وتجريح الناس والقدح فيهم .

ويقول الحافظ ابن حجر : حق على المحـدث أن يتـورع فيما يرويه ، وأن يسأل أهل المعرفة والورع ، ليعينوه على ايضاح مروياته .. ولا سبيل الى أن يصير العارف الذى يزكى نقلة الأخبار ويجرحهم جهبذا الا بادمان الطلب والفحص عن هذا الشأن .



الفصل الثاني

السنة في مواجهة المستشرقين

● السنة فى مواجهة المستشرقين

للسنة النبوية الشريفة منزلتها فى الدين ، ومكانتها الآثيره فى نفوس المسلمين ، فهى : المصدر الثانى للتشريع الاسلامى ، بعد القرآن الكريم . وهى المبينة والمفصلة لكتاب الله ، قال سبحانه :

﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ (1)

وقد اقترن الأمر بطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم بالأمر بطاعة الله تعالى ، فى قوله سبحانه :

○ ــــــــــــ ﴿ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ (٣٢) ﴾ (٢)

ومن مقتضيات الايمان ــ اذا حدث تنازع فى أمر ــ أن يرد الناس الأمر الى الله ورســوله ، والى الكتاب والســنة قــال الله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟

(١) سورة النمل آية (٤٤) .
(٢) سورة آل عمران آية (٣٢) .

ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِۚ ﴾ (١)

كما نص القرآن الكريم — صراحة — على وجوب طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم ، والتسليم لحكمه واتباعه ، وهذه الطاعة فى حال حياته ، بما كان يبين للناس ما نزل اليهم ، وبما كان يوضح لهم من معالم الحق والخير ، والحلال والحرام . ويفصل الأحكام ، ويهدى الناس الى الصراط المستقيم ، وبعد وفاته كذلك ، باتباع سننه واحيائها ، والسير على منوالها ، لأنه صلى الله عليه وسلم انتقل الى الرفيق الأعلى ، بعد أن اطمأن تماما على أنه أرسى معالم الدين ، وأدى الأمانة الالهية ، على منهاج الحق.

وجاء الأمر الالهى صريحا يأخذ كل ما أتى به ، ودعا اليه ، والانتهاء عن كل ما نهى عنه ، قال الله تعالى :

﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ۚ ﴾ (٢)

وقد وصى الرسول صلى الله عليه وسلم المسلمين ان يطيعوه وأن يتبعوا ما أتاهم به من الكتاب والسنة بعد وفاته ، ففى هذا عصمة لهم من الذلل ، ووقاية من الضلال قال صلى الله عليه وسلم : **(تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما : كتاب الله وسنتى(٣) .**

---

(١) سورة النساء آية (٥٩) .
(٢) سورة الحشر آية (٧) .
(٣) أخرجه الحاكم فى المستدرك .

لهذا كله تلقى الصحابة رضوان الله عليهم السنة الشريفة، وبلغوها الى من بعدهم جيلا فجيلا ، حتى وصلت الينا نقية بيضاء .

هذا : وان لدينا يقينا مطلقا بأن الله سبحانه وتعالى وعد بحفظ القرآن الكريم ، وحفظه فعلا ، قال تعالى :

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ (١)

وهذا اليقين يفىء علينا يقينا قريبا منه بأن الله سبحانه قد حفظ كذلك من سنة رسوله صلى الله عليه وسلم وأحاديثه كل حقيقى وصادق ، ليكون بيانا لكتابه الذى تكفل بحفظه ، قال تعالى :

﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ ﴾ (٢)

من أجل هذا نرى أن السنة الشريفة قد قيض لها من أسباب التوثيق ما لم يحدث له نظير أبدا فى تاريخ البشر ، مثل : علوم الحديث ، والجرح والتعديل ، وجهاد الأئمة والحفاظ فى سبيل استخلاص الأحاديث الصحيحة .

وعلى هدى الكتاب والسنة : قامت — على أيدى سلفنا — نهضة علمية شاملة ، تجاوبت أصداؤها فى مشارق العالم ومغاربه

(١) سورة الحجر آية (٩) .
(٢) سورة القيامة آية ١٧ — ١٩ .

وساعد على نماء النهضة ، وازدهارها ما قام به العلماء من توسع فى الرحلات العلمية ، والاجتهاد فيها ، وتفتقت عبقريات فذة فى كثير من العلوم والمعارف ، كانت قائمة على أساس الدين .

وبرغم كل ذلك : فقد تعرضت السنة النبوية الشريفة ، لسهام أعداء الدين — بغيا منهم وعدوانا — فحاولوا قديما الدس والتحريف ، والكذب والوضع ، بدافع التعصب السياسى ، أو التعصب العنصرى أو ما أحدثه الزنادقة والجهال من القصاص أو ما كان نتيجة الخلافات الكلامية ، أو الجهل بالدين مع الرغبة فى الخير ، الى غير ذلك من الأسباب التى يرجع معظمها الى مكر أعداء الاسلام به ، ومحاولتهم أن يلقوا فى محيط الحديث النبوى بالأكاذيب والترهات .

وقد قيض الله سبحانه وتعالى لسنة نبيه صلوات الله وسلامه عليه رجالا أمناء ، صدقوا فى اخلاصهم لله ولرسوله ، ونصبوا أنفسهم للذب عن السنة الشريفة ، فأفنوا اعمارهم فى التمييز بين الصحيح والباطل ، صيانة للسنة النبوية وحفاظا على الاسلام من الدس والتحريف .

وفى سبيل تنقيح السنة وتنقيتها من الوضع : بذل علماء الأمة — من الصحابة والتابعين ومن بعدهم — جهودا مخلصة فوضعوا قواعد الجرح والتعديل ، وكان من ثمرة أعمالهم : علم مصطلح الحديث ، وهو يشتمل على أدق المناهج العلمية ، واوثق الطرق للتحقيق التاريخى ، واقومها فى التمحيص والنقد

والتزمـوا الاسـناد ، فلم تظفر أمة من الأمم بما ظفرت به هذه الأمة من الاسناد الصحيح المتصل وعلوه ، ونقد الرواية والرواة.

لقد نقدوا الرواة ، ودرسوا حياتهم وتاريخهم وأحوالهم : من صـدق أو كذب ، ووصلوا عن طريق هذه الدراسـة الى تمييز الصحيح من المكذوب .. وكانوا فى حكمهم على الرواة لا يخافون فى الحق لومة لائم ، ولا تأخذهم عاطفة ، حتى ولو كان الراوى أخا لواحد منهم ، أو أبا له .. فهذا زيد بن أنيسة يقول :

« لا تأخذوا عن أخى(١) » . وهذا على بن المدينى : لا يروى عنه حرف فى تقوية أبيه ، بل يروى عنه ضد ذلك(٢) ، ووضعوا القواعد لتقسيم الحديث ، ونقدوا السند ، ونقدوا المتن ، وبذلوا غاية الجهد فى التثبت من الأحاديث مهما كلفهم ذلك ، يقول سعيد ابن المسيب : انى لأسير الليالى ، والأيام فى طلب الحديث الواحد.

هكذا : كانت همم أئمة الحديث فى تمييز الصحيح من غيره وفى الدفاع عن السنة وحمايتها من أعدائها ، وأعداء الاسلام قديما .

وأما حديثا : فقد تعرضت لما تعرضت له فى القديم ، اذ شن أعداء الاسلام على السنة حملات مسمومة ومسعورة لا هوادة فيها، وقد تولى كبر هذه الحملات الظالمة المستشرقون ومن تبعهم .

---

(١) صحيح مسلم شرح النووى جـ ١ ص ٩٩ .
(٢) شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادى . مخطوط .

ظاهرة الاستشراق

لقد بدأت أولى مراحل الاستشراق عندما تبوأت الحضـــارة الاسلامية مكانتهـــا المرموقة ، بما لها من خصـــائص ومقومات ، لا تضاهيها حضارة أخرى ، فأعجب الغربيون بها ، واغترفوا من مناهلها الصافية ، بيد أنهم أحسوا أن هذه الثقافة الاسلامية ، الأصيلة ، وذلك التقدم الحضارى المزدهر يهدد كيانهم ، فانبرى بعض الرهبان يدرسون هذه الثقافة ، لحاجة فى أنفسهم ، وأخذوا يثيرون الشبه المفتراة ، ويؤلفون كتبا تطفح بالمثالب المزعومة ، ورغم ذلك : فقد ظلت الحضارة الاسلامية مشرقة بفكرها الاسلامى النقى وثقافتها الأصيلة ، فعجزت حيل أعدائها ، وكلت ، وضلت مساعى أولئك المبطلين .

ومن ثم ، حاولت الكنيسة ضرب هذه الثقافة ، واقتلاعها من الجذور ، فكانت الحملات الصليبية ، بدافع العصبية ، وتخليص مهد المسيح من أيدى المسلمين ، مستغلين اسم الدين فى ســـبيل أطماعهم التوسعية وتقويض الحضـــارة الاســـلامية ، ولكن تلك الحملات باءت بالفشل ، وانهزمت جيوشها .. ومن هنا : بدأت المرحلة الراهنة للاستشراق التى قامت بدافع الأسباب السابقة ، وبدافع العدوان والكراهية للاسلام ، الذى ينكر عقيدة التثليث والصلب والفداء ، فراحوا يختلقون المآخذ ، ويتصيدون التهم الملفقة فى تصنع واحتراف ، فهم الخصوم المحترفون كما يسميهم المرحوم الأستاذ العقاد(١) .

---

(١) حقائق الاسلام واباطيل خصومه للمرحوم الأستاذ العقاد .

وأيضا : فمن تلك الأسباب : أن القرآن الكريم كشف عوارهم، وفضح مكرهم ، حين بين ما قام به أتباع التوراة والانجيل من تحريف الكلم عن مواضعه ، ولعل هذا هو السبب الأول لحقد المستشرقين على القرآن نفسه(١) .

وقد عنى المستشرقون بالتعرف على الاسلام ودراسة أصوله ـ بعد أن ألفت الجمعيات اليهودية والمسيحية ـ وكان منهم من تظاهر بالاشادة بالاسلام ، ليطمئن القارىء لأفكاره ، ثم يدس جزئية فى ثنايا بحثه ، تحمل السم الخطير للاسلام ... وكان المستشرقون من اليهود قد أقبلوا على الاسلام لأسباب دينية ، وهى : محاولة اضعاف الاسلام ، والتشكيك فى قيمه ، وأخرى سياسية ، هى : خدمة الصهيونية (٢) .

ومن هؤلاء المستشرقين : المستشرق اليهودى المجرى « جولد تسيهر » ...

وقد افترى هذا المستشرق كثيرا على الاسلام ،فحاول التشكيك فى الكتب الستة مرة ، وحاول التشكيك فى السنة بأسرها مرة أخرى .

يقول جولد تسيهر : « ومن السهل أن يفهم أن وجهات نظرهم ـ يعنى المسلمين ـ ليست كوجهات النظر عندنا ، تلك التى لاتجد لها مجالا كبيرا فى النظر فى تلك الأحاديث ، التى اعتبرها النقد

---

(١) الاسلام فى نظر المستشرقين للدكتور اللبان .
(٢) المبشرون والمستشرقون فى موقفهم من الاسلام د : محمد البهى .

الاسلامى صحيحه غير مشكوك فيهـا ، ووقف حيالها لا يحرك ساكنا ، ولقد كان من نتائج هذه الأعمال النقدية الاعتراف بالكتب الستة أصولا ، وكان ذلك فى القرن السابع الهجرى ، فقد جمع فيهاعلماء من رجال القرن الثالث الهجرى أنواعا من الأحاديث . كانت مبعثرة ، رأوها أحاديث صحيحة » (١) .

الرد على هذه الفرية :

ان فى هـذا الـكلام تشـكيكا فى قيمـة الكتب الستة ، وقد بنى ذلك على ادعائه ضعف موازين النقد عند المسلمين ، وأن وجهة نظـر نقادهم تختلف عن وجهة نظر النقاد الأجانب الذين لا يسلمون بصحـة كثير من الأحاديث ، ثم رتب بعد ذلك نتيجته الخبيثة وهى : أنه كان من نتائج هذه الأعمـال النقدية الاعتراف بالكتب الستة ...الخ .

أما بالنسبة لاختلاف وجهة نظر النقاد الأجانب : فهذا أمـر طبعى .

أولا :

لأن النقاد المسلمين يؤمنون بالله ورسوله ، ويصدقون بكل ما جاء به الصـادق الأمين صلوات الله وسلامه عليه ، فسلموا

---

(١) العقيدة والشريعة فى الاسلام : جولد تسيهر ترجمة د. محمد يوسف وزملائه .

ـ بعد التحقيق العلمى ـ بصحة كثير من أحاديث الغيبيات والعقائد ، بخلاف الأجانب الذين لا يؤمنون برسالة الرسول .

ثانيا :

ان النقد الاسلامى ، قام على قواعد دقيقة ، وأصول ثابتة ، لها قيمتها ووزنها العلمى ، ولا تعرف الدنيا أدق من موازين النقد التى وضعها المسلمون لقبول الأحاديث أو ردها ، وقد شهد بذلك كثير من الأجانب ، وما دام الأمر كذلك : فماذا يضيرنا من اختلاف وجهة نظرهم »

أما ما أورده هذا المستشرق من أمر الكتب الستة ، وأن أحاديثها ، كانت مبعثرة فضمها مؤلفوها فى القرن الثالث ورأوا أنها أحاديث صحيحة : فتلك شبهة واهية ، لا أساس لها ، لأنها تؤدى الى انكار الجهود المخلصة التى بذلها علماء الاسلام فى القرنين : الأول ، والثانى من أجل حفظ السنة وحمايتها .فالسنة : ما كانت مبعثرة ، وأنما كان معظمها عمليا يطبقه المسلمون ، ويهتدون به ، ويحفظونه فى قلوبهم الواعية ، وكتبهم الصادقة الأمينة ... وهكذا : انتشرت السنة من عهد الصحابة والتابعين ، وفى القرن الأول والقرون التالية ، وظلت محفوظة فى القلوب وفى الصحف ، حتى دونت فى الكتب المصنفة فى القرن الثانى الهجرى .

وبما أن الكتب الستة : قد سبقها فى القرن الثانى كتب مصنفة ، ومسانيد دونت قبل الكتب الستة ، فلما جاء أصحاب

الكتب الستة بمناهجهم الدقيقة وشروطهم العميقة ، وما التزموه فى مصنفاتهم من نقد السند والمتن والرجال الذين يروون عنهم ، ويأخـــذون منهم ... كل ذلك : يفىء علينا يقينا جازما بأن هؤلاء الأئمة الثقات اختاروا هذه الأحاديث التى دونوها فى كتبهم من آلاف الأحاديث التى كانت موجودة عنـــد الأئمة والحفاظ متوخين جمع الصحيح منها .

وفرية أخرى :

لهذا المستشرق المجرى « جولد تسيهر » يقول فيها :

« ان القسم الأكبر من الحديث ليس الا نتيجة للتطور الدينى والسياسى والاجتماعى للاسلام فى القرنين الأول ، والثانى ، وأنه ليس صحيحا ما يقال : من أنه وثيقة الاسلام فى عهده الأول عهد الطفولة ، ولكنه أثر من آثار جهود الاسلام فى عصر النضوج »(١).

الرد على ذلك :

هذه الدعوى الزائفة تنهار أمام أدلة النقل من الكتاب والسنة وأمام المنطق العقلى السليم ، فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يلحق بالرفيق الأعلى الا بعد كمال الدين ، وتمام نعمة الاسلام ، ومن أواخر ما نزل عليه :

---

(١) دراسات اسلامية : جولد تسيهر .

○ ——————— ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ﴾ (١)

وقال صلى الله عليه وسلم : « **تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنتى** » (٢) .

وقد تضافرت المقاييس الثابتة ، والمناهج الدقيقة التى لم تتوفر لأى ثقافة أخرى ، ولم تعرف الدنيا أدق من هذه الموازين العلمية التى وضعت لقبول الرواية أو ردها .

وعلى هـذا الأساس : تلقى الخلف عن السلف سنـة ، نبيهم عليه الصلاة والسلام ، حتى وصلت الينا صحيحة ثابتة .

وأمـا زعم هذا المستشرق أن أغلب الأحاديث من وضع المسلمين نتيجة للتطور : فهو كذب وافتراء ، يدحضه ويرده ما ثبت بالواقع والتاريخ من الأحاديث الصحيحة الوافرة ، التى نقلت عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وحفظها الصحابة ، وأخذها عنهم ثقات الرواة : طبقة بعد طبقة ، وعصرا بعد عصر ، حتى وصلت الينا نقية سليمة ، وتلقاها الأئمة على مر العصور بجهاد مشكور ، فنفوا عنهـا كل كذب ، وبالغوا فى التثبت والحيطة ، وسطروها على صفحات قلوبهم الواعية ، وصدورهم الأمينة ، ودونوها فى

---

(١) المائدة آية (٣) .
(٢) رواه الحاكم فى المستدرك .

صحفهم وكتبهم الصحيحة التى التزموا فيها بنقد السند والمتن ، مستجيبين لنبيهم عليه الصلاة والسلام الذى أمرهم بالصدق ، وحذرهم من الكذب ، ودعاهم الى المحافظة على حديثه الشريف ، وحذرهم من التهاون فيه .

افتراء آخر :

وهناك افتراء آخر ، خلاصته : أن الاعتراف بصحة الحديث أمر شكلى ، يقول جولد تسيهر : « قد شعر المسلمون فى القرن الثانى بأن الاعتراف بصحة الأحاديث يجب أن يرجع الى الشكل فقط ، وأنه يوجد بين الأحاديث الجيدة الاسناد كثير من الأحاديث الموضوعة ، وساعدهم على هذا ما ورد من الحديث : «سيكثر الحديث عنى فمن حدثكم بحديث فطبقوه على كتاب الله فما وافقه فهو منى قلته أو لم أقله » هذا هو المبدأ الذى حدث بعد قليل عند انتشار الوضع » أهـ .

الرد على ذلك :

أنه لم ينقل عن أحد من المسلمين أن الاعتراف بصحة الحديث أمر شكلى ، أو أن من بين الأحاديث الجيدة الاسناد الكثير من الأحاديث الموضوعة ، وانما كل ما نقل عنهم هو ما رآه البعض بالنسبة لأحاديث الآحاد من أنها تفيد الظن ، وهذا مبالغة فى الحيطة والتثبت .

وأما ما ادعاه هذا المستشرق فى تدعيم دعواه من حديث : « سيكثر التحديث بعدى ... الخ » فقد نقد الأئمة هذا الحديث

وبينوا أنه موضوع ، فكيف ينهض دليلا على القاعدة الخطيرة التى وضعها هذا المغرور ؟ وقد قام المحدثون بمناهجهم وشروطهم التى ميزوا بها بين الصحيح وغيره ، وبين الصالحين للروايـــة وغير الصالحين ، كما ردوا بعض الاحاديث التى لم تنطبق على رواتها شروطهم ، وردوا بعض احاديث الصالحين ، « ولم يكتفوا فى الرواة بالصلاح وحسن السيرة ، حتى يجمعوا الى ذلك الحفظ والضبط واليقظة التامة » (١) أهـ .

وقال الامام مالك : « لا يؤخذ العلم من أربعة ، ويؤخذ من سواهم : لا يؤخذ من سفيه ، ولا يؤخذ من صاحب هوى يدعو الى بدعته ولا من كذاب يكذب فى حديث الناس وان كان لا يتهم على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا من شيخ لـــه فضل وصلاح وعبادة اذا كان لا يعرف ما يحمل وما يحدث به » (٢) فهم يشترطون فيمن يأخذون عنهم الا يكون الواحد منهم سفيها به حمق وعدم اتزان ، أو أن يكون عابدا ولكنه لا يزن الأمور بدقة ، ولا صاحب بدعة يدعو اليها ، هذا مع الضبط والفهم .



---

(١) الحديث والمحدثون : د. محمد ابو زهو .
(٢) مالك : حياته وعصره للشيخ : محمد أبو زهرة .

دعوى ان السنة منقولة عن الأمم الأخرى

ويطعن جولد تسيهر فى السنة من زاوية أخرى ، فيزعم : أنها منقولة عن الأمم الأخرى ، وقال : « هناك جمل أخذت من العهد القديم ، والعهد الجديد ، وأقوال الربانيين ، أو مأخوذة من الاناجيل الموضوعة ، وتعاليم من الفلسفة اليونانية وأقوال من حكم الفرس والهنود .. كل ذلك أخذ مكانه فى الاسلام عن طريق الحديث(١) » .

الرد على ذلك :

فى هذه الشبهة يورد المستشرق : أن الاسلام أخذ من اليهودية والنصرانية والفلسفات الأخرى ، وكيف يتأتى هذا والمسافة الزمنية بعيدة جدا بين الاسلام وغيره من الأديان السابقة ؟ والرسول أمى لم يتل كتابا من قبل ، ولا خط بيمنه ، قال الله تعالى :

﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ (٢)

---

(١) العقيدة والشريعة فى الاسلام ص ٥١ .
(٢) سورة العنكبوت آية ٤٨ — ٤٩ .

نعم : توجد أشياء من أخبار الرســـل السابقين فى الكتاب وفى السنة ، وهناك تشابه بين الاسلام وغيره فى بعض الامور ولكن ليس معنى هذا : أن الاسلام أخذ من السابقين ، أو قلد سواه ، وانما ذكرت أخبار الرسل لأنهم اخوة اتحدوا فى الهدف وهو : التبليغ عن الله الواحد ، ويصدق بعضهم بعضا .

والقارىء للقرآن والسنة يرى : الفرق شاسعا بين ما جاء فيهما من التعاليم العامة الشاملة ، والتشريعات والأحكام والآداب، وبين ما جاء فى تعاليم التوراة والانجيل ، وحكم الفرس والهنود .

أما اتفاق الكتب السماوية فى الأصل الأول وهو التوحيد او فى مكارم الأخلاق : لأن الدعوات السماوية جاءت كلها بالاسلام توحيدا خالصا ، وأخلاقا فاضلة ، فلا ضير ان يتفق الاسلام مع غيره فى مثل ذلك ، فطابعه العام — بعد ذلك — أنه الدين العالمى بأصوله وتشريعاته — وبمصادره من الكتاب والسنة فهو غنى عن الأخذ من الأديان السابقة او الفلسفات المختلفة .

وقد وجدت محاولات عديدة لتسلل الاسرائيليات وغيرها الى الاسلام ، ولكن العلماء المجـــاهدين الذين ســـهروا للدفاع عنـــه ورابطوا حول اصوله ، حالوا دون هوى المغرضين وكيف يتصور أن الاسلام نقل عن غيره وهو الدين الشامل الكامل الذى اشتمل على ما لم يشتمل عليه ما سبقه ؟ ! .

والناظر الى صحف اليهود الآن : لا يرى فيها شيئا عن الجنة والنار ، ولا الدار الآخرة ، فكيف يأخذ منها ؟ .

وواضح من كل ما سبق ، ومن جهود المسلمين سلفا وخلفا : أن السنة النبوية حفظت من كل دخيل وموضوع ، وكيف لا : وهى المبينة للقرآن الكريم ، الذى تكفل الله تعـالى بحفظه وجاء بها الرسول الأمين وحيا وصـدقا :

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾(١)

اعتراف بعض المستشرقين بصحة بعض السنة

اعترف أحد المستشرقين بصحة قسم كبير من السنة النبوية التى حفظت فى الصدور ودونت فى الكتب بدقة بالغـة ، وعناية لا نظير لها ، وهو : « دوزى » .

وما كان يعجب لكثير من الموضوعات والمكذوبات تتخلل كتب الحديث ، فتلك ــ كما يقول : طبيعة الأشياء نفسها ــ بل الكثير من الروايات الصحيحة الموثوقة التى لا يرقى اليها الشـك ، « ونصف صحيح البخارى على الاقل جدير بهذا الوصف عند أشد المحدثين غلوا فى النقد ، مع أنها ــ أى الروايات الصـحيحة ــ تشتمل على أمور كثيرة يود المؤمن الصادق لو لم ترد فيها(٢) » . أ.هـ.

هذا هو مخلص الدعوى كما أوردها الدكتور صبحى الصالحى ، مشيرا الى أن عبارة دوزى فى الأصل أشد وقاحة من ان يوردها.

(١) سورة النجم آية ٣ ــ ٤

(٢) علوم الحديث ومصطلحه د. صبحى الصالحى .

الاجابة على ذلك :

نرى هنا : أن هذا المستشرق حاول أن ينصب الشرك حول بحوثه ، حيث مال الى الاعتراف بصحة قسم كبير من السنة النبوية بقصد غير شريف ، وغرض غير خالص . للعلم ، انمـــا لمحاولة التجريح والنقد ، وهذا هو دأب المستشرقين ، يموهون الأمور ، ويصطنعون الانصاف المزيف للاسلام ، ليطمئن الباحث الى أفكارهم، ثم يعمد الواحد منهم فيدس السموم للاسلام وأصوله .. ولكن لم يعد خافيا عنا اعتراف المستشرقين بصحة بعض السنة النبوية ، أو اشادتهم ببعض محاسن الاسلام ، فاننا لا ننتظر منهم اعترافا بشيء من ذلك ، ولا اطراء لبعض مبادىء الاسلام ومحامده ، فنحن المسلمين أوثق تراثا وأدرى بحقـــائق ديننا وخصائصه وأصوله ، ولدينا من الثقة واليقين ما لا يدع مجـــالا لتمـــويه المستشرقين ، وتحريفهم الكلم ، وتلبيسهم الحقائق مع الأباطيل ، فالحق أحق أن يتبـــع .

* وقد بذل رجال السنة جهودا مخلصة وأمينة فى المحافظة على الحديث الشريف من الدس والتحريف ، وفى سبيل تثبتهم كانوا يتذاكرون الأحـــاديث فيما بينهم لمعرفة ما يأخـــذون منهـــا وترك ما ينكرونه ، وكانوا على حيطة بالغة ، وهمم عالية ويقظة تامة ، بحيث يحفظون الأحاديث الصحيحة والضعيفة والموضوعة ، خشية أن يختلط عليهم ، وحتى يستطيعوا التمييز بين الصحيح وغـــيره بدقة فائقة ، روى أبو بكر بن الأثرم : أن أحمد بن حنبل رأى يحيى ابن معين بصنعاء فى زاوية ، وهو يكتب صحيفة معمر عن أبان

عن أنس ، فاذا أطلع عليه انسان كتمه ، فقال له أحمد بن حنبل : تكتب صحيفة معمر عن ابان عن أنس وتعلم أنها موضوعة ؟ فلو قال ذلك قائل : أنك تتكلم فى أبان ثم تكتب حديثه على الوجـــه ؟ فقـــال : رحمك الله يا أبا عبد الله أكتب هـــذه الصحيفـــة عن عبد الرزاق عن معمر على الوجه فأحفظهـــا كلهـــا ، وأعلم أنها موضوعة ، حتى لا يجىء بعده انســـــان فيجعل بدل أبان ثابتا ، ويرويها عن معمر عن ثابت عن أنس بن مالك ، فأقول له : كذب، انما هى عن معمر عن أبان لا عن ثابت(١) ، ووضعوا عـــلامات يعرف بها الاسناد الموضوع كأن يكون الراوى معروفا بالكذب ، ويتفرد برواية الحديث ولا يرويه ثقة غيره أو أن يقروا ضعفه ، أو أن تكون هناك قرينة مانعة من صحـــة الحديث ، كأن يروى الراوى عن شيخ لم يثبت لقاؤه به ، أو ولد بعد وفاته ، أو لم يدخل المكان الذى ادعى سماعه فيه ، أو معرفة حال الراوى وبواعثه النفسية ، ودرســـوا مولد الرواة ووفاتهم واقامتهم ورحلاتهم ، وقسموهم إلى طبقـــات ، الى غير ذلك يقـــول سفيان الثورى : « لما استعمل الرواة الكذب استعملنا لهم التاريخ » .



---

(١) الجامع لأخلاق الراوى .

ادعاء المستشرقين أن المحدثين لم يعنوا بالنقد الداخلى

ومن مزاعم المستشرق « شاخت » : ما ادعاه — جهلا وبهتانا — بأن المحدثين اعتنوا بالنقد الخارجى ، أى من ناحية الرواة ، ولم يعتنوا بالنقد الداخلى ، وهو نقد المتن .

الاجابة عن ذلك :

لقد تصدى أئمة الحديث لكل من النقد الداخلى والخارجى والناظر فى علم مصطلح الحديث يرى ذلك واضحا تمام الوضوح، والى اى مدى عنوا ببيان الشذوذ والاعلال فى السند أو فى المتن، وقالوا : « ان العلة قد تكون فى المتن كما تكون فى السند » .

ومع هذا : فقد تبع بعض الكتاب ما قاله المستشرقون . فقال أبو رية : « وقد تعرض كثير من أئمة الحديث للنقد من جهة المتن الا أن ذلك قليل جدا بالنسبة لما تعرضوا له من النقد من جهة الاسناد » .

والحقيقة : أن مثل هؤلاء المستشرقين ومن تبعهم من الكتاب لو أمعنوا النظر ، ووجدوا كيف كان حكم ائمة الحديث على الأحاديث صحة وضعفا — لوجدوا النقد موجها للمتن كثيرا ، كما يوجه الى السند ، بل فى كثير من الأحيان يكون النقد للسند أو الرواة مرجعه فيما نقله أو رواه من مناكير أو موضوعات . فيقول أئمة الحديث

مثلا : « حديث منكر » أو « باطل » أو « شبه موضوع » أو « موضوع » ويقولون فى الراوى : « يحدث بالمناكير » او يقولون : « صاحب مناكير » أو « عنده مناكير » أو « منكر الحديث » ومعظم ذلك راجع الى جهة المعنى . . . يقول الأستاذ عبد الرحمن بن يحيى المعلمى اليمانى : « ولما كان الأئمة فقد راعوا فى توثيق الرواة النظر فى أحاديثهم ، والطعن فيمن جاء بمنكر ، صار الغالب ألا يوجد حديث منكر الا وفى سنده مجروح أو خلل ، فلذلك : صاروا اذا استنكروا الحديث نظروا فى سنده ، فوجدوا ما يبين وهنه فيذكرونه وكثيرا ما يستغنون بذلك عن التصريح بحال المتن ، انظر موضوعات ابن الجوزى وتدبر ، تجده : انما يعمد الى المتون التى يرى فيها ما ينكره ولكنه قلما يصرح بذلك ، بل يكتفى غالبا بالطعن فى السند. وكذلك كتب العلل ، وما يعل من الأحاديث فى التراجم ، تجد غالب ذلك مما ينكر متنه ، ولكن الأئمة يستغنون عن بيان ذلك بقولهم : « منكر » أو نحوه أو الكلام فى الراوى(١) .أ.هـ .

وأما ما يظنه البعض من أن العناية بالسند أكثر من المتن : فليس على حقيقته ، وانما لأن السند تتعدد أحواله .. ومع ذلك : فقد وضع العلماء الصفات التى يجب توافرها فى صحة المتن . وحددوا العلامات الدالة على الوضع ، ومن أهمها : ركاكة المعنى، وفساده ، ومخالفته للقرآن أو السنة المتواترة أو الاجماع القطعى، أو المخالفة للوقائع التاريخية المقطوع بصحتها أو أن يصدر الحديث من راو تأييدا لمذاهبه ، أو يشتمل الحديث على أفراط فى الثواب

---

(١) الأنوار الكاشفة للأستاذ عبد الرحمن بن يحيى المعلمى اليمانى .

العظيم على العمل الصغير أو المبالغة فى الوعيد الشديد على الأمر البسيط ، أو يتضمن الحديث أمرا من شأنه أن تتوفر الدواعى على نقله لوقوعه بمشهد عظيم ثم لا يشتهر ، ولا يرويه الا واحد أو ما يصرح بتكذيب جمع المتواتر وهكذا .

كما كان لذوق المؤمن مجاله فى النقد ، ومعرفة الصحيح من المتون وغير الصحيح ، وهذا الذوق كان متفقا مع قوانين الرواية، يقول الربيع بن الخيثم : « ان من الحديث حديثا له ضوء كضوء النهار تعرفه به ، وان من الحديث حديثا له ظلمة كظلمة الليل تعرفه بها » . ويقول ابن الجوزى : « الحديث المنكر يقشعر له جلد الطالب للعلم ، وينفر منه قلبه فى الغالب » .

ومما سبق : يتضح لنا ما وضعه علماء الحديث من القواعد الهامة التى عرفوا بها الحديث الصحيح من الموضوع ، ووجهوا جهودهم الى نقد السند والمتن على السواء .

وعلى بساط البحث العلمى نرى : أن تلك الدعاوى الزائفة التى حاول بعض المستشرقين أن يثيروها لا أساس لها ولا وزن . وأن هؤلاء الطاعنين انما وجهوا تلك المطاعن لحاجة فى أنفسهم :

﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨﴾ ﴾[1]

---

(١) سورة الصف آية ٨ .

واذا كان هذا العدوان الظالم من بعض المستشرقين المغرضين فان هناك بعضا من المستشرقين عرفوا الاسلام ووقفوا على خصائصه وأسلم بعضهم ، وكتب عن الاسلام بانصاف ، منهم الأستاذ : محمد أسد « ليوبولد فايس » ، والأستاذ : عبد الرشيد الانصارى « روبرت ولذى » والأستاذ : ناصر الدين « رينيه » وغيرهم .. ومن دفاع : « توماس كارليل » عن الرسول صلى الله عليه وسلم قوله : « وليست الرسالة التى أداها الا حقا صراحا ، ولا كلامه الا صوتا صادرا من العالم المجهول(١) » .



(١) مفتريات على الاسلام للأستاذ : احمد محمد جمال .

السنة الشريفة وافتراءات المبشرين والمستشرقين

عرفنا ما للسنة النبوية الشريفة من أصول ثابتة ، وقواعد محكمة ، نقلت بها الينا ، ورويت على أساسها .

فمهما حرف المحرفون ، أو افترى الأعداء والمبشرون فانها ــ بحمد الله ــ مصونة من كل عدوان ، محوطة بعناية فائقة ، متميزة بقوانين رصينة ، تتصل بالمتن والاسناد .

ومع هذا : فقد اتجهت سهام الأعـــداء اليها ، فى سلسلة الحروب القتالية والثقافية ، التى شنوها على الاسلام والمسلمين فى مختلف المجالات والميادين .

ولقد قام التبشير بدور خطير فى هذا المضمار ، وكان الذى حدا بأوروبا الى هذا اللون من العدوان ، أنها فشلت فى الحروب الصليبية أن تصل الى ما تريد عن طريق السيف والمنازلة .

ولذا لجأت الى التبشير كنوع خطير من أنواع الحـــروب الصليبية الجديدة .

وأخذ التبشير أشكالا متعددة وأساليب متنوعة فمن التعليم مرة ، الى الطب مرة أخرى ، الى الاذاعة والصحف والمجلات .

وقد استخدموا المدارس والمستشفيات ، ليتقنع التبشير بنشر العلم ، أو الطب المجانى ، أو الخدمات الاجتماعية ، وكلها وسائل تلتقى عند غاية واحدة هى :

السيطرة على الثقافة الدينية ، ووضع الكتب والرسائل التى تطفح بالمثالب ، والطعن فى الاسلام والمسلمين والتجنى على أصول هذا الدين وفى مقدمتها : القرآن الكريم والسنة الشريفة .

ولنتناول هنا بعض الافتراءات التى افتراها بعض المبشرين على السنة الشريفة .

يقول المبشر الأمريكى « جب » : « الاسلام مبنى على الأحاديث أكثر مما هو مبنى على القرآن ، ولكننا اذا حذفنا الأحاديث الكاذبة لم يبق من الاسلام شىء ، وصار أشبه بصبيرة طومسون ، وطومسون هذا رجل أمريكى ، جاء الى لبنان فقدمت له صبيرة فحاول أن ينقيها من البذر ، فلما نقى منها كل بذرها لم يبق فى يده منها شىء » أهـ.(1) .

---

(1) التبشير والاستعمار د. مصطفى خالد ؛ د. عمر فروخ .

ومن افتراءاتهم كذلك قولهم : وبينما كان محمد يعظ ، كان المؤمنون يدونون كلماته على عجل .

● ففى الافتراء الأول : محاولة عدوانية ظالمة ، للتجنى على السنة النبوية الشريفة التى جاءت مفسرة للقرآن الكريم ، ومفصلة لمجمله وموضحة لمبهمه ، ومبينة لأحكامه .

ونلاحظ : أنـــه يريد أن يصور السنة وكأنها مجموعة من الأخبار التى اذا نقيت لم يبق منها شىء .

● وفى هذا افتراء متبجح ، ومحاولة اجرامية للنيل من السنة النبوية فان السنة الشريفة قد ثبتت بأدق طرق الرواية ، والنقل الصحيح ولقد كان الاسناد الصحيح المتصل خصيصة لهذه الأمة ، ليس لغيرها من الأمم .

قال ابن حزم : « نقل الثقة عن الثقة يبلغ به النبى صلى الله عليه وسلم مع الاتصال خص الله به المسلمين دون سائر الملل . وأما مع الارســـــال والاعضال : فيوجد فى كثير من اليهود ، لكن لا يقربون فيه من موسى قربنا من محمد صلى الله عليه وسلم ، بل يقفون بحيث يكون بينهم وبين موسى أكثر من ثلاثين عصرا ، وانما يبلغون الى شمعون ونحوه .

قال : وأما النصارى فليس عندهم من صفة هـــذا النقل الا تحريم الطلاق فقط ، وأما النقل بالطريق المشتملة على كذاب أو مجهول العين فكثير فى نقل اليهود والنصارى .

وأما أقوال الصحابة والتابعين فلا يمكن لليهود أن يبلغوا الى صاحب نبى أصلا ، ولا الى تابع له ، ولا يمكن للنصارى أن يصلوا الى أعلى من شمعون وبولص » أهـ.

ولقد نــوه القرآن الكريم بذكر الاســناد فى قوله تعالى : **« أو أثارة من علم »** .

فقد روى الحاكم وغيره عن مطر الوراق فى هذه الآية قال : « اسناد الحديث » . وقال ابن المبارك : « الاسناد من الدين ، لولا الاسناد لقال من شاء ما شاء » (١) .

والاسناد من خصائص هذه الأمة ، قال أبو على الجيانى : خص الله تعالى هــذه الأمة بثلاثة أشياء ، لم يعطها من قبلها : (الاسناد ، والأنساب ، والاعراب)

وعنى ائمة الحديث : بنقد السند والمتن ، ومراعاة العدالة والضبط ، فلا يؤخذ الحديث من أهل البدعـــة ، ولا من سفيه ، ولا ممن عرف بالكذب فى أحاديث الناس .

يقول الامام مالك : « لا يؤخذ العلم عن أربعة ، ويؤخذ عمن سواهم .

لا يؤخذ من مبتدع يدعو الى بدعته ، ولا عن سفيه يعلن بالسفه ، ولا عمن يكذب فى احاديث الناس ، وان كان يصدق فى أحاديث النبى صلى الله عليه وسلم ، ولا عمن لا يعرف هذا الشأن » .

---

(١) رواه مسلم

وكانت همم ائمة الحديث وحفاظه عالية ، وعنايتهم بانتقاء الأحاديث الصحيحة فائقة فهذا هو : الامام أحمد بن حنبل يقول :

« انتقيت « المسند » من سبعمائة ألف حديث وخمسين الف حديث » .

ولدقتهم فى تمييز الصحيح من غيره ، كان بعض أئمة الحديث يحفظ الصحيح من الأحاديث ، ويحفظ أيضا غير الصحيح حتى لا يلتبس على الناس هذا بذاك .

وحتى لا يأتى من يخلط بينهما أو يحاول تلبيس الأمور فميزوا بذلك الصحيح من السقيم .

فقد كان الامام البخارى يحفظ مائة ألف حديث صحيح ومائتى الف حديث غير صحيح .

وصنف الامام مسلم « صحيحه » من ثلاثمائة ألف حديث مسموعة .

وكتب الامام أبو داود خمسمائة ألف حديث انتخب منها ما ضمنه كتاب : « السنن » .

وهكذا : بهذه الدقة الفائقة ، والجهود المخلصة قيض الله تعالى لحفظ السنة الشريفة رجالا أمناء ، وحفاظا ثقات ، أفنوا أعمارهم ، فى جمع السنة الصحيحة وتدوينها ، وحفظها من لدن صدورها من فمه الشريف صلوات الله وسلامه عليه ، الى أن وصلت الينا نقية صحيحة ، خالصة بيضاء ، فى كتب الصحاح التى أشرقت على دنيا الناس ، فكان منها صحيحا البخارى ومسلم ، اللذان تلقتهما الأمة الاسلامية بالقبول .

وغير ذلك من الكتب الصحيحة والسنن والمسانيد والمعاجم والمستدركات والمستخرجات ، وما الى ذلك ، مما هو مدون فى كتب السنة الصحيحة .

فادعاء أعداء الاسلام والمبشرين والمستشرقين وابواق الكفر والالحاد ادعاء كاذب ، وعدوان ظالم ، وتجن على الاسلام وعلى مصادره الأصيلة ، التى تمثلت فى كتاب الله تعالى ، وفى سنة رسول الله صلوات الله وسلامه عليه .

وأما الشبهة الأخرى التى حاول بعض المبشرين أن يلصقوها بالسنة الشريفة ، فهى قولهم :

« وبينما كان محمد يعظ كان المؤمنون يدونون كلماته على عجل ، انهم هنا يريدون أن يثيروا حول السنة أنها لم تدون تدوينا دقيقا ، يتسم بالروية والأناة والتثبت ، وهى شبهة لا أساس لها من الصحة فما عرفت البشرية على مر أدوار الحياة تاريخا من التواريخ ، أو علما من العلوم نقل بأدق وأعظم مما نقلت به السنة الشريفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام .

وما كان المؤمنون يدونون أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وكلماته على عجل ، كما يدعى أعداء الاسلام وخصوم السنة الشريفة ، وانما كانوا فى غاية التثبت والحيطة ، يتثبتون من الراوى والمروى أو السند والمتن تثبتا قويا ، فما اطمأنوا اليه قبلوه ، وما لم يطمئنوا اليه طلبوا عليه شاهدا ، وما لم تقم البينة على صدقه ردوه .

وكان تثبتهم قائما على ميزان النقد العلمى الصحيح .

ومنع الصحابة الرواة من أن يحدثوا بما يعلو على فهم العامة لأن فى هذا مدعاة لتكذيبهم للمحدث فيما لا يفهمونه ، ومدعـــاة للخطأ والشك فى الدين ، فامتنعـــوا عن ذلك خشية أن يستغل أصحاب الأهواء ظاهر النصوص لصالح بدعهم وأهوائهم .

عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن عبد الله بن مسعود قال :
« ما أنت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم الا كان لبعضهم فتنة » رواه مسلم .

ومن أمثلة التثبت عن الصحابة مـــا رواه البخارى عن ابى سعيد الخدرى قال :

كنت فى مجلس من مجالس الأنصارى اذ جـــاء أبو موسى كأنه مذعور فقال :

استأذنت على عمر ثلاثـــا فلم يؤذن لى فرجعت : فقال ما منعك ؟

قلت استأذنت ثلاثا فلم يؤذن لى فرجعت وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« اذا استأذن أحدكم ثلاثا فلم يؤذن له فليرجع » .

فقال : والله لتقيمن عليه بينة ، أمنكم احد سمعه من النبى صلى الله عليه وسلم ؟ .

فقال أبى بن كعب : والله لا يقوم معك الا أصغـــر القوم . فكنت أصغر القوم ، فقمت معه ، فأخبرت عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ذلك ، فقال عمر لأبى موسى : أما انى لم أتهمك . ولكن خشيت أن يتقول الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقد سار على سنة التثبت التابعون ، ومن جاء بعدهم وعنوا بالأسانيد ، والنقد العلمى الدقيق .

ولما كان الصحابة متفاوتين فى العلم ، فلم يكن عند الجميع ما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقد بدأت الرحلات العلمية، فقام الصحابة والتابعون بالرحلات العلمية الى كثير من البلاد حتى تميز البعض بكثرة الرحـلات والانتسـاب الى أكثر من بلد ، وكانت الرحلة سبيلا الى طلب الحديث وضبطه والتثبت منه .

وهكذا : كانوا يتثبتون فى أخـذ الحـديث وروايته وضبطه وتدوينه .

وبموازين النقد العلمى النزيه ، تلقوه خلفا عن سلف ، حتى وصل الينا فى هذه الدواوين المعتمدة ، والجوامع الواسعة .

أفبعد كل هذا : يتقول أعداء السنة من المبشرين والمستشرقين ومن على شاكلتهم ، محاولين الصاق الشبه بالسنة ، ومحاولة اضعاف الروح الدينى عند كثير من المسلمين ، بغيا منهم وعدوانا ولحاجة فى أنفسهم ؟ .

وأن الحديث النبوى الصحيح الذى بين أيدينا اليوم ، فى صحيح البخـارى وفى صحيح مسلم ، وفى غيرهما من الكتب الصحيحة لأكبر شاهد على عناية المسلمين بسنة نبيهم صلوات الله وسلامه عليه .

وكان من عناية الله سبحانه وتعالى ، أن قيض لسنة نبيه صلوات الله وسلامه عليه أولئك الحفاظ الأمناء ، والأئمة العدول الضابطين الذين نقشوها على صفحات قلوبهم الأمينة ، واستوعبتها ذاكرتهم الحافظة التى استظهرت الكثير منها بشىء منقطع النظير .

كما دونوها فى صحائفهم الصادقة ، وكتبهم المعتمدة ، فجاءت فى ثوبها الالهى المشرق ، مصونة من تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين .



عدوان على السنة الصحيحة
والرد عليه

لقد قيض الله تعالى لسنة نبيه صلى الله عليه وسلم رجالا أمناء ، وحفاظا مجاهدين ، أفنوا الأعمار فى سبيل الحفاظ على السنة الشريفة .. وكان لهم دفاعهم عنها ورد السهام دونها .

ولكن حملات أعداء الاسلام ، ومحاولتهم الغزو فى صور عديدة كانت تتشكل فى كل جولة بما يلائم عصرها .

فمن الفرق الضالة الخارجة عن الاسلام .. الى الأعداء الظاهرين .. الى المستشرقين .. الى المنتظمين فى صفوف الغزو الفكرى .. الى من جرفتهم سيول المدنية المتحللة ، وجروا وراء الأفلام الاباحية والمعادية للاسلام والسنة .

ولكن رجال السنة ، كانوا وما زالوا بحمد الله لكل الأعداء بالمرصاد ، يجاهدون وينافحون .

ولقد راح البعض ، فى هذه الآونة يردد طعون سابقيه من المستشرقين والكتاب المأجورين ، والشيوعيين الذين يدفعون بهؤلاء فى الميدان لحرب الاسلام ، ممثلا فى تراثه ، وفى السنة الشريفة .

ومن ذلك : بعض تلك الموجات الطائشة التى تتدافع على صفحـــات بعض الجرائد اليومية ، فى بعض البـــلاد الاسلامية والعربية .

وقد تناولت الرد على ذلك فى مجلة « الدعوة » السعودية ، ورددت على من انكر حديث :

« اذا وقع الذباب فى اناء أحدكم فليغمسه كله ثم يطرحه ، فان فى أحد جناحيه داء وفى الآخر شفاء » . لقد ادعى بعض المنكرين أن الحديث غير صحيح ، وأنه يتعارض مع الآية الشريفة :

﴿ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ﴾ (١)

فبالله : أى منطق هذا الذى يريد أن يحرف الكلم عن مواضعه، ويئول القرآن على حسب هواه ، وبما يؤيد ما يريد ؟

أيصل الأمر الى هذا الحد ؟

أيناقض القرآن الحديث ؟

أهذا ما يريده القرآن : أن للذباب خاصية السلب ؟ . لو أن قائل هذا القول ، كلف نفسه قليلا من النظر الى بقية الآية ، أو كان ممن يعلمون أسباب النزول ،لعرف أن الآيـــة لا تخص الذباب ، وليست القضية فيه، وانما هذا مثل ضربه الله لمن يعبدون الأصنام، بأن الأصنام لاتقدر على خلق الذباب معصغره، ولو اجتمعوا لخلقه، ثم بين غاية جهلهم بأن هذه التماثيل لا تقدر على خلق أقل الأحياء،

---

(١) سورة الحج آية ٧٣ .

ولا تقوى على مقـــاومته وتعجز عن دفعه عن نفسها ، واستنقاذ ما يختطفه منها ، قال الله تعالى :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ ﴾ (١)

هذا هو المعنى ، كما يفهم من الآية ، لا كما حاول بعض الكتاب أن يلبس الأمور ، وأن يخرج بالقرآن عن غير مراد الله تعالى ، الى مراد نفسه ، ليقوى رأيه ، ويخرج من ذلك بأن هذه الآية تناقض الحديث ، ونقول : انها ليست دليلا أبدا على ما يريدونه ، وخروجهم بمراد القرآن الى هذه الصـــورة افتراء جديد ، وافك مفترى ، وحسابهم على الله .

وأما عن حديث « الذباب » فاسناده صحيح .. فقد رواه الأئمة : أحمد والبخارى وأبو داود وابن ماجه والبيهقى وغيرهم .

وليعلم المنكرون أن هذا الحديث لم يستدركه أحد من الأئمة على البخارى ، وانما هو مما جاء على شرطه فى أعلى درجـــات الصحة .

---

(١) سورة الحج آية ٧٣

ومعلوم أن صحيح البخارى قد اتفق علماء الأمة الاسلامية على تلقيه بالقبول .

وقد تتبعت سند الحديث فى الكتب التى اخرجته فكانت النتيجة :

أنه قد رواه من الصحابة :

ابو هريرة ، وابو سعيد الخدرى ، وانس بن مالك . ورواه عن كل واحد من الصحابة مجموعة من التابعين .. وهكذا حتى وصل الى الأئمة الذين أخرجوه فى كتبهم ، وجميع الروايات متصلة وصحيحة ، بل فى أعلى درجات الصحة ، زادت على عشرين طريقا ، هذا من جهة سند الحديث .

واما من جهة المتن : فبرغم ما اكتشفه بعض المهره من الأطباء من وجود مادة قاتلة للميكروب ، فاننا لن نعول على هذه الاكتشافات الحديثة ، لانها لم تعجب بعض الكتاب ، ولانها ليست وحدها الدليل على صحة متن الحديث .

واذا ما تأكدنا من اتصال الحديث وصحته ، فلسنا بحاجة الى راى طبيب او كاتب او مكتشف ، بعد أن وضح لنا أن الحديث قاله الرسول صلى الله عليه وسلم .

فهل ندع ما جاء من مشكاة النبوة ، ونركن الى راى البشر فى تضاربه وخطئه وصوابه ؟

واننا لنرى راى العين اكثر الناس يأكل مما يسقط عليه الذباب ، ويشرب منه ، ولا يصيبهم شىء الا فى القليل النادر . ومن ذا الذى يكابر فى هذا ؟

ومع هذا : فنحن لا نشك فى ضرر الذباب الشديد ، لا سيما أثناء وقوع الوباء العام .

وليس معنى هذا : أن نتهاون فى شأنه ، أو نتساهل بالنسبة له فى حياتنا . فالاسلام دين النظافة .. وقد حرص الاسلام على الوقاية ، والبعد عن مواطن التهلكة ، ويجب علينا نظافة الثوب والبدن والمكان والطعام والشراب .

ولكن لأن الذباب مما يتعذر دفعه كثيرا .. وتتعذر الوقاية منه فى كثير من الأحوال ، فاذا دعت الضرورة ووقع فى الطعام فان الحديث الشريف ، يكشف لنا عن خاصية كانت غامضة ، وهى ما تحتوى عليه الذبابة من مادة مضادة لكثير من الأمراض فان نحن غمسنا الذبابة وخرج السائل قتلت المادة الموجودة فيه تلك الجراثيم المرضية .. والعقل لا يرفض ذلك .

نعم : قد يستغربه ، والغرابة ناشئة عن عدم المعرفة بمادته ، ولأن النفس تعافه ، وليست ناشئة من استحالة وجود ما فيه من خصائص .

والذين حكموا عقولهم فى الحديث ، لا نراهم يفرقون بين ما استحال تصوره ، وما يستغرب تصوره ، وهذا ناشىء من غرورهم العقلى الذى لا يجدى فتيلا .

بل أن بعض المنكرين يدعى أن الحديث يتنافى مع المكتشفات الحديثة من الميكروبات .. والعجيب : أنهم آمنوا بتلك المكتشفات أكثر من ايمانهم بالغيب ، وبما قاله المعصوم الذى لا ينطق عن

الهوى .. ولكنهم لا يصرحون ، لقد حاولوا انكار السنة الصحيحة حبا فى الجرى وراء كل جديد وبراق .

وأغرب من هذا : أن كثيرين من النـــاس يؤمنون بخرافات الأوربيين ، وينكرون حقائق الاسلام أو يتأولونها ، ومنهم من يؤمن بخرافة استحضار الأرواح ، وينكر وجود الملائكة بتأويله العصرى الحديث ، وليستمع المنكرون والمكابرون الى قول ابن قتيبة :

« أن من حمل أمر الدين على ما شاهد ، فجعـل الذباب لا يعلم موضع السم ، وموضع الشفاء واعترض على ما جاء فى الحديث مما لا يفهمه ، فانه منسلخ من الاسلام مخالف لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسـلم ، وما درج عليـه الخيار — من صحابته — والتابعون .

ومن كذب ببعض ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم، كمن كذب به كله(١) » .

وقال الخطابى :

تكلم على هذا الحديث من لاخلاق له ، فقال : كيف يجتمع الشفاء والداء فى جناحى الذباب ؟

وكيف يعلم ذلك من نفسه حتى يقدم جناح الشفاء وما الجأه الى ذلك .

---

(١) أنظر تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص ٣٩٠ ج ١ المطبعة العلمية بمصر سنة ١٣٢٦هـ .

قال : وهذا سؤال جاهل أو متجاهل ، فان كثيرا من الحيوان قد جمع الصفات المتضادة ، وقد الف بينها وقهرها على الاجتماع وجعل منها قوى الحيوان ، وان الذى الهم النحلة البيت العجيب الصنعة للتعسيل فيه ، والهم النملة أن تدخر قوتها أوان حاجتها ، وأن تكسر الحبة نصفين لئلا تستنبت ، لقادر على الهام الذبابة أن تقدم جناحا وتؤخر الآخر .

وقال ابن الجوزى : ان النحلة تعسل من أعلاها وتلقى السم من أسفلها .. والحية القاتل سمها تدخل لحومها فى الترياق ، الذى يعالج به السم .

وذكر بعض حذاق الأطباء : أن فى الذبابة قوة سمية يدل عليها الورم والحكة العارضة عن لسعة ، وهى بمنزلة السلاح له فاذا سقط الذباب فيما يؤذيه تلقاه بسلاحه ، فأمر الشارع أن يقابل تلك السمية بما أودعه الله تعالى فى الجناح الآخر من الشفاء ، فتتقابل المادتان فيزول الضرر ، بذن الله تعالى(١) .أ.هـ.

ان الاسلام ينادى بالنظافة ، ويدعو الى وقاية الصحة وهذا الحديث ليس فيه ما يناقض ذلك وانما فيه درء الضرر الذى يترتب من وجود المادة السامة بأخرى مزيلة للسم ، وذلك هو لمن لا تعاف نفسه ذلك ، ولمن يحتاج للطعام أو الشراب لضرورة وحاجة .

---

(١) من فتح البارى جـ ١ ص ١٩٧ المطبعة الخيرية .

وعلماء الطب والطبيعة وغيرهم يعترفون بأنهم ما وسعوا كل شيء علما ، ولم يحيطوا بدقائق كل العلوم والمعارف .. واكتشافات العلم كانت وما زالت تتوالى من اكتشاف شيء بعد آخر .

فبأية عقيدة وايمان : ينفى هـؤلاء المنكرون أن يكون الله تعالى أطلع رسوله عليه الصلاة والسلام على أمر لم يصل اليه علماء الطب وعلماء الطبيعة بعد .

هذا : وخالق الطبيعة ومدبرها هو واضع الشريعة ، وقد علم سبحانه أن كثيرا من عباده يكونون فى ضـيق من العيش وقد يكون قوتهم قليلا من اللبن أو العسل وحده .. فلو امروا باراقة كل ما وقعت فيـه الذبابة لأجحف ذلك بهم .. فأغاثهم بهـذا الحديث .. فمن خالف هواه وطبعه فى استقذار الذبابة فغمسها، تصديقا لله ولرسوله ، دفع الله عنـه الضرر . فكان من غمس ما لم يكن قد انغمس ما يدفع ضرر ما كان قد انغمس من قبل .

واذا كان العلم يثبت لقوة الاعتقاد تأثيرا بالغا ، فما بالنا باعتقاد منشؤه الايمان بالله ورسوله(١) » أ.هـ .

واليوم : اذ نقدم للقراء بعض هذه الردود على تلك الآراء الظالمة للسنة الصحيحة ، فانها امتداد لدفاع سابق نشرنا فيـه الرد على بعض الآراء الجامحة والظالمة ، وهى بمشيئة الله ردود موصولة الجهاد لما ينشر حاليا ، وما يحاول اذاعته ونشره بعض

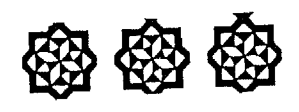
---

(١) من الأنوار الكاشفة للأستاذ عبد الرحمن بن يحيى المعلمى اليمانى .

الذين وقعوا فريسة الغزو الفكرى ، ومن غرهم الجرى وراء نغمة التجديد والتطوير .

ونحن نناشد كل الأقلام المجــاهدة الشريفة ، أن يشرعوا أقلامهم المسلمة فى وجــه كل عدوان على السنة ، والوقوف فى مواجهة التيارات المعادية للاسلام ، ورد تلك الموجات الفكرية التى تحاول النيل من السنة الصحيحة .

وننادى جميع المسلمين والمثقفين أن يقفوا على تراثهم وأن يتعلموا من سنة رسولهم صلوات الله وسلامه عليه كل ما وسعهم، وألا يهملوا كتب شروح السنة الصحيحة ، وفيها ما يفى بحاجــة الفكر الاسلامى ، ويرد سهام كل متطاول الى نحره .. والله يهدى الى سواء السبيل .



الفصل الثالث

دفاع عن حجّيّة السُّنّة

ردّ ما أُثير حول حجيتها

دفاع عن حجية السنة
ورد ما أثير حول حجيتها

الحديث النبوى الشريو ، ، حجة فى الأحكام ، ومصـــدر ثان للتشريع بعد كتاب الله سبحانه ، وتعالى .

ولقد امر الله تعالى بوجوب طاعة الرسو ، صلى الله عليه وسلم ، ووضح سبحانه أن الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، هو الذى يبين للناس ما نزل اليهم .

قال سبحانه :

﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ (١)

وقال تعالى

○ ــــــــــــــــ ﴿ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ (٢)

---

(١) سورة النحل آية ٤٤
(٢) سورة آل عمران آية ٣٢

وقد جعل الله سبحانه ، التولى عن طاعة الله ، وعن طاعة الرسول كفرا ، لأن من اركان الايمان بالله : الايمان بالرسول صلى الله عليه وسلم ، والايمان بأن كل ما أتى به حق وصدق .

عن عمران بن حصين أنه قال لرجل : انك امرؤ أحمق ، أتجد فى كتاب الله الظهر أربعا لا يجهر فيها بالقراءة ؟ ثم عدد عليه الصلاه ، والزكاة .. ونحو هذا .. ثم قال : أتجد ذلك فى كتاب الله مفسرا ؟ .

ان كتاب الله أبهم هذا ، وان السنة تفسر ذلك .

رد بعض الشبة والطعون

ذهب بعض أصحاب الآراء الجامحة — من الفرق والطوائف — الى انكار حجية السنة جملة — متواترة كانت أو آحادا — مستندين فى ذلك الى فهمهم السقيم فى مثل قوله تعالى :

﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾ (١)

وقوله تعالى :

﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾ (٢)

واصل هذا الرأى الفاسد — وهو : رد السنة والاقتصار على القرآن — أن الزنادقة وطائفة من غلاة الرافضة ذهبوا الى

(١) سورة النحل آية ٨٩
(٢) سورة الأنعام آية ٣٨

انكار الاحتجاج بالسنة ، والاقتصار على القرآن .. ونسبوا الى الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال : ((**ما جاءكم عنى فاعرضوه على كتاب الله ، فما وافقه فأنا قلته ، وما خالف فلم أقله)** .

كما استدلوا على عدم حجيتها أيضا : بنهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن كتابة السنة وأمره بمحو ما كتب منها .

والاجابة على هذه الشبهة تتلخص فيما يأتى :

أولا : أن قوله تعالى :

﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ (١)

المراد ــ والله أعلم ــ أن الكتاب يبين أمور الدين بالنص الذى ورد فيه ، أو بالاحالة على السنة التى تو ت بيانه ، والا فلو لم يكن الأمر كذلك لتناقضت الآية مع قوله تعالى :

﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ (٢)

ثانيا : وأما قوله تعالى :

﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ﴾ (٣)

فالكتاب هو اللوح المحفوظ بدليل السياق .

﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ﴾ (٤)

(١) سورة النحل آية ٨٩ .
(٢) سورة النحل آية ٤٤ .
(٣) سورة الأنعام آية ٣٨ .
(٤) سورة الأنعام آية ٣٨ .

وعلى تقدير أنه القرآن ، فالمعنى أنه يحتوى على كل أمور الدين ، اما بالنص الصريح ، واما ببيان السنة له .

ثالثا : وأما الحديث الذى نسبوه الى النبى فزعموا — حسب ادعائهم — أنه يفيد ضرورة عرض السنة على الكتاب ، فقد قال فيه الامام الشافعى رحمه الله تعالى :

« ما روى هذا أحد يثبت حديثه فى شىء صغر ولا كبر » .

وذكر أئمة الحديث : أنه موضوع ، وضعته الزنادقة . قال عبد الرحمن بن مهدى : الزنادقة والخوارج وضعوا ذلك الحديث ، وهذه الألفاظ لا تصح عنه صلى الله عليه وسلم عند أهـــل العلم بصحيح النقل من سقيمه ، وقد عارض هذا الحديث قوم من أهل العلم ، وقالوا : نعرض هذا الحديث على كتاب الله قبل كل شىء ، ونعتمد على ذلك ، قالوا : فلما عرضـــناه على كتاب الله وجدناه مخالفا لكتاب الله ، لأنا لم نجد فى كتاب الله أنه لا يقبل من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ما وافق كتاب الله ، بل وجدنا كتاب الله ، يطلق التأسى به والأمر بطاعته ويحذر من المخالفة عن أمره جملة على كل حال .

رابعا : وأما نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن تدوين السنة : فلا يدل على عدم حجيتها ، لأن المصلحة يومئذ كانت تقضى بتضافر كتاب الصحابة ، وهم قلة على جمع القرآن الكريم وتدوينه وحفظه أولا : خشية أن يلتبس بغيره على البعض ، فنهاهم عن تدوين السنة ، حتى لا يكون تدوينها شاغلا عن القرآن أو أن النهى كان بالنسبة لمن يوثق بحفظه .

واخيرا : فكيف يترك الاحتجاج بالسنة ، اقتصارا على القرآن ؟ ولا سبيل الى فهم القرآن الا عن طريق السنة الصحيحة التى يعلم بها المفسر أسباب النزول ، والظروف والمناسبات والوقائع الخاصة التى نزلت فيها آيات القرآن الكريم ، ولا سبيل الى معرفة ذلك الا عن طريق السنة الصحيحة .

الرد على من ينكر الاحتجاج بخبر الواحد

من الحديث : ما هو ، متواتر ، ومنه ما هو ، آحاد فأما الحديث المتواتر : فقد عرفه العلماء بأنه : « هو ما نقله من يحصل العلم بصدقهم ضرورة ، بأن يكونوا جميعا لا يمكن تواطؤهم على الكذب عن مثلهم من أول الاسناد الى آخره » .

ولذا : كان مفيدا للعلم الضرورى ، وهو الذى يضطر اليه الانسان ، بحيث لا يمكنه دفعه ، ويجب العمل به من غير بحث عن رجاله ، ولا يشترط فيه عدد معين فى الأصح .

واما الحديث الآحاد : وهو الخبر الذى لم تبلغ نقلته فى الكثرة مبلغ الخبر المتواتر ، سواء كان المخبر واحدا أو اثنين أو ثلاثة أو أربعة او خمسة ، الى غير ذلك من الاعداد التى تشعر بأن الخبر دخل بها فى حيز المتواتر .

وقيل فى تعريفه : هو مالم يوجد فيه شروط المتواتر ، سواء كان الراوى له واحدا أو اكثر .. والتعريفان يتفقان فى أن خبر الواحد لا تجتمع فيه شروط المتواتر ، فهما متقاربان .

وقد اتفق جمهور المسلمين — من الصحابة والتابعين وغيرهم — على وجوب العمل بخبر الواحد ، وأنه حجة ، ويفيد الظن ، ومنع من وجوب العمل به بعض الطوائف : كالروافض والقدرية .. وبعض المتكلمين .

والدليل على وجوب العمل بخبر الواحد ما يأتى :

أولا : قال الله تعالى :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ ﴿٦﴾ ﴾ (١)

والنبأ : هو : الخبر ، وهو نكرة فى سياق الشرط فيعم كل خبر ، ويدخل فيه الخبر الذى يتعلق بالرسول صلى الله عليه وسلم قبل غيره ، لأهميته ، وقد أوجب الله تعالى التثبت فيه لوجود الفسق ، فاذا انتفى هذا السبب بأن كان المخبر ثقة عدلا قبل الخبر من غير تثبت ولا توقف .

ثانيا : ورد فى السنة الشريفة ، ما يدل على قبول خبر الواحد من ذلك : ما روى عن سفيان بن عيينه عن عبد الملك بن عمير عن

---

(١) سورة الحجرات آية ٦

عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن أبيه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« نضر الله عبدا سمع مقالتى ووعاها وأداها فرب حامل فقه غير فقيه ، ورب حامل فقه الى من هو أفقه منه ، ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم : اخلاص العمل لله ، والنصيحة للمسلمين ولزوم جماعتهم ، فان دعوتهم تحيط من ورائهم » .

وفى هذا الحديث يدعو الرسول صلى الله عليه وسلم لاستماع مقالته وأدائها ، ويدعو بالنضرة للقائم بذلك . فيقول : **« نضر الله عبدا .. »** وفى رواية « امرءا » وكل واحدة من الكلمتين بمعنى « الواحد » والرسول لا يأمر أن يؤدى عنه الا الذى تقوم به الحجة ، فدل ذلك على وجوب العمل بخبر الآحاد .

وقد تواتر عن الرسول صلوات الله وسلامه عليه أنه كان يبعث بكتبه ورسله ، ويلزم المسلمين العمل بالآحاد منها .

ثالثا :

اجماع الصحابة المستفاد من الوقائع الكثيرة التى كانت تحدث وتتواتر عنهم فى العمل بخبر الواحد ، وكثيرا ما يكون لهم رأى فى أمر من الأمور ، فاذا جاء خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذوا به وتركوا آراءهم ، كما كانوا يرجعون الى بيت النبوة فى بعض ما يحتاجون اليه ، فيسألون أمهات المؤمنين ، رغبة منهم فى

الوقوف على حكم النبى صلى الله عليه وسلم فى مثل هذه الأمور . وعلى هذا المنهج سار التابعون من بعدهم .

ومما يشهد للعمل بخبر الواحد : أن الصحابة كانوا يكتفون به فيما ينزل من أحكام الدين ، ولا يطلبون خبرا آخر .

من ذلك : ما روى عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال : بينما الناس بقباء فى صلاة الصبح اذ جاءهم آت فقال :

ان النبى قد أنزل عليه الليلة قرآن ، وقد أمر أن يستقبل القبلة فاستقبلوها ، وكانت وجوههم الى الشام ، فاستداروا الى الكعبة .

فقد أخبرهم بتحويل القبلة واحد صادق ، فلو لم يكن خبر الواحد جائزا لما تحولوا الى الكعبة بخبره .

رد بعض الاعتراضات

* قد يعترض على العمل بخبر الواحد ، بتوقف بعض الصحابة فى العمل به ، وطلبهم شاهدا أو يمينا .

والجواب على ذلك : أن هذا كله لم يكن لأن الحديث خبر آحاد ، وانما لزيادة التثبت فى الراوى والمروى ، وشدة الحيطة فى ذلك . فربما وقع لهم الشك فى الراوى ، بأن كان غير حافظ أو غير ضابط ، فطلبوا الشاهد أو اليمين لذلك .

* وقد يعترض كذلك : بأن الصحابة لم يكثروا من رواية السنـــة ، وقصروا العمل على القرآن ، والمشهور من الأحاديث واجتهدوا بالرأى بعد ذلك .

والجواب على ذلك : أنهم ما تركوا الحديث الصحيح ولا لجأوا الى الرأى .. وتشهد بذلك الوقائع الكثيرة المأثورة عنهم ، بل أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يقول :

« اياكم والرأى ، فان أصحاب الرأى أعداء السنن أعيتهم الأحاديث أن يعوها ، وتفلتت منهم أن يحفظوها ، فقالوا فى الدين برأيهم » .

وأما ما جاء من الصحابة فى الاجتهاد بالرأى ، فانه لم يكن الا بعد البحث عن الحديث ، فاذا لم يجدوه اجتهدوا برأيهم . فاذا جاءهم ـــ بعد ذلك ـــ حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اتبعوه وتركوا الرأى . وعن عبد الله بن مسعود قال :

« من عرض له منكم قضاء فليقض بما فى كتاب الله ، فان لم يكن فى كتاب الله فليقض بما قضى فيه نبيه صلى الله عليه وسلم ، فان جاء أمر ليس فى كتاب الله ولم يقض فيه نبيه صلى الله عليه وسلم فليقض بما قضى به الصالحون ، فان جـــاء أمر ليس فى كتاب الله ، ولم يقض به نبيه ، ولم يقض به الصالحون ، فليجتهد برأيه ، فان لم يحسن فليقم ولا يستحى .

شروط العمل بخبر الواحد

اشترط العلماء فى قبول خبر الواحد ، ووجوب العمل به شروطا كفلت الاحتجاج به ، والعمل بما فيه .

وبهذه الشروط ، اندفعت الشبه التى أثارها المشككون حول الحديث وأصبح لا مجال لطعنهم ، وقولهم : « ان الراوى يجوز عليه الكذب أو الغلط مع احتمال الصدق ، فثبوت الخبر عن الرسول صلى الله عليه وسلم غير مقطوع به » .

لا مجال لمثل هذا القول ، فان الشروط التى اشترطها الأئمة والعلماء كانت كافية فى ترجيح جانب الصدق على جانب الكذب وهذه الشروط منهاما هو فى راوى الحديث ، ومنها ما هو فى متن الحديث .

أما الشروط الخاصة براوى الحديث فهى

١ — العدالة .
٢ — الضبط .
٣ — أن يكون فقيها .
٤ — أن يعمل الراوى بما يوافق الخبر ولا يخالفه .
٥ — أن يؤدى الحديث بحروفه .
٦ — أن يكون عالما بما يحيل معانى الحديث من اللفظ .

وأما الشروط الخاصة بالحديث فهى :

١ ــ أن يكون متصل السند برسول الله صلى الله عليه وسلم .

٢ ــ خلوه من الشذوذ والعلة .

٣ ــ ألا يخالف السنة المشهورة قولية كانت أو فعلية .

٤ ــ ألا يخالف ما كان عليه الصحابة والتابعون ، وألا يخالف عموم الكتاب أو ظاهره .

٥ ــ ألا يكون بعض السلف قد طعن فيه .

٦ ــ ألا يشتمل الحديث على زيادة فى المتن أو السند انفرد بها ، راويه عن الثقات .

وهكذا احتاط العلماء فى قبول خبر الواحد ، فاشترطوا له الشروط الكافية ، ووضعوا لراويه الصفات اللازمة التى تجمع بين الثقة فى الدين ، والصدق فى الحديث .

قال الخطيب البغدادى ــ فى الكفاية :

« وعلى العمل بخبر الواحد كان كافة التابعين ومن بعدهم من الفقهاء الخالفين فى سائر أمصار المسلمين الى وقتنا هذا ولم يبلغنا عن أحد منهم انكار لذلك ، ولا اعتراض عليه » .

وهكذا : وبمثل هذه المقاييس الدقيقة ، والشروط القوية المحكمة ، وضع علماء الحديث موازين النقد العلمى النزيه ، التى لا تعرف لها الدنيا مثيلا . واندفع ما يحاوله أعداء السنة وأعداء الاسلام وما يلقون به فى محيط الحديث النبوى .

دفاع عن السنة
مع مسند الإمام احمد بن حنبل

من بين مدونات الحديث الجامعة : « مسند الامام احمد بن حنبل » .

وقد روى عن ابنه عبد الله انه قال : قلت لأبى رحمه الله :

لم كرهت وضع الكتب وقد عملت المسند ؟ فقال : « عملت هذا الكتاب اماما ، اذا اختلف الناس فى سنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم رجع اليه » .

مع هذا : فقد تعرض « المسند » لطعون المستشرقين ودعاوى أعداء الاســـلام ، تلك الدعاوى التى اثيرت حوله كما اثيرت حول غيره من كتب السنة المعتمدة .

وكتاب « المسند » للامام احمد بن حنبل ، يعتبر من امهات كتب السنة ، وأصـــول المسانيد ، ومدونات الحديث ، التى كان لها أكبر الأثر ، فى حفظ الكثير من ســـنة الرسول صلـــوات الله وسلامه عليه .

ولما كان لهذا الكتاب الضخم أهميته الكبيرة فى مجال السنة واثره البالغ فى الاسلام ، فقد كانت وجهة أعداء الدين اليه بالغة وكبيرة ، وكانت سهامهم مصوبة نحوه .

ولقد تتابعت حملات المستشرقين ، وأعداء الدين ، ومن لف لفهم من أعداء السنة ، الذين لبسوا ثوب الاسلام فى الظاهر .. وخدع كثير من الناس بكتابات المستشرقين ، وأعداء الدين ، ممن وقعوا فريسة الاغراء ، وغرهم الجرى وراء كل جديد براق .

وقد طعن « أبو رية » فى مسند الامام أحمد وغيره من كتب المسانيد فى كتابه : « أضواء على السنة المحمدية » حيث قال :

« واننا لم نعرض لهذا الكتاب — يريد مسند الامام أحمد — ولا الى غيره من كتب المسانيد بالتفصيل ، وهى كثيرة الا لأن العلماء ، قد تكلموا فيها ، وقضوا بأنه لا يسوغ الاحتجاج بها ولا التعويل عليها ، على أننا قد رأينا أن نتكلم عن مسند أحمد الذى هو أشهرها لنبين للمسلمين حقيقته ، ونكشف عن درجته » .

ونرى هذا الكاتب فى خلال عرضه للدليل على دعواه الزائفة ينقل كلام الشيخ طاهر الجزائرى فى كتاب « توجيه النظر » حيث قال :

« وكتب المسانيد هى ما افرد فيها حديث كل صحابى على حدة من غير نظر للأبواب ، وقد جرت عادة مصنفيها أن يجمعوا فى مسند كل صحابى ما يقع لهم من حديثه صحيحا كان أو سقيما .. ولذلك لا يسوغ الاحتجاج بما يورد فيها مطلقا » .

وسار فى ذيل المستشرقين واتباعهم بعض من المخدوعين من الكتاب .. ومن هؤلاء من نقل كلام « أبى رية » ومنهم من نقل كلام المستشرقين .

وأخرج البعض كتبا تطفح بالمثالب ، وتجـــور على الحرمات وتطعن السنة الشريفة .

والحق : أن كتب المسانيد تأتى رتبتها بعد السنن . ولكن دعوى : أن الأئمة لا يحتجون بما فى كتب المسانيد ولا يعولون عليها، فهذا هو الجهل الفاضح ، والظلم بعينه والتجنى على كتب السنة تجنيا لا يرضاه ذو عقيدة صحيحة .

ومن الواضح أن قولهم :

« لا يحتج بما ورد فيها مطلقا » مراد به انه لا يحتج بكل حديث منها ، لأنهـــا تجمـــع بين الصحيح والحسن ، والضعيف ولهذا كان من الواجب البحث عن درجة أحاديث المســـند ، والتأكد من صلاحيتها للاحتجاج .

ومن المعلوم : أن معظم الأحاديث التى دونت فى مسند الامام أحمد مما يصح الاحتجاج بها ، لأنها اما : صحيحة أو حسنة . وفيه أحاديث كثيرة فى الصحيحين ، وغيرهما من كتب السنة المعروفة.

ومما يشهد لمسند الامام أحمد بالفضل ، وأنه اشـــتمل على كثير من أحاديث الصحيحين ، ما قاله الحافظ الفقيه محمد اليونينى، حين سئل :

أأنت تحفظ الكتب الستة ؟

فقال : « احفظها وما أحفظها ، فقيل له : كيف هذا ؟ فقال : أنا أحفظ مسند أحمد ، وما يفوت المسند من الكتب الستة الا قليل، فأنا احفظها بهذا الوجه » .

وان بعض الأحاديث غير الصحيحة ، وغير الحسنة ، التى وردت فى المسند لا تؤثر على درجته ، ولا تنقص من قيمته الجليلة فى نفوس الأئمة والعلماء .

وبهذا : يرد ما اثير حـــول « المسند » من دعاوى زائفة تدل على خبث نية أصحابها ، وسوء طويتهم .

وتتضح درجة المسند من الصحة ، وأنه مرجع وثيق لأصحاب الحديث ، كما قال الامام الحافظ الكبير ابو موسى المدينى :

« وهذا الكتاب ـــ اى المسند ـــ اصل كبير ، ومرجع وثيق لأصحاب الحديث ، انتقى من حديث كثير ، ومسموعات وافرة فجعله اماما ومعتمدا ، وعند التنازع ملجأ ومستندا » اهـ .

ونلاحظ أن اعداء الســـنة الشريفة ، حين يثيرون الشبه ، ويحاولون تجريح السنة ، لا يفعلون ذلك بأسلوب مباشر ، ولكنه التخطيط الذى رسموه لأنفسهم ، ولأشياعهم وأذنابهم . .

انهم يقومون : بتجريح السنة عن طريق تصـــوير الأحاديث تصويرا غير مراد . . ومحاولة افهام البعض من غير المستوعبين لعلوم السنة الذى يرمون اليه .

واما الميدان الآخر الـــذى حاولوا أن يشككوا فى السنة من طريقه : فهو ميدان الكتب الكبيرة ، والمدونات التى لها وزنها وثقلها، مثل : كتاب « صحيح البخارى » وكتاب « صحيح مسلم » .

ومن ذلك : « كتاب المسند » وهو كتاب ضخم وعظيم ، لم يسبقه كتاب فى حجمه وضخامته وكثرة أحاديثه .

وأظهر الكتب المدونة قبله : هو كتاب « الموطأ » للامام الجليل مالك رضى الله عنـــه .. الا أن أحاديث الموطـــأ لا تبلغ ما بلغته أحاديث المسند، منحيث الكثرة والعدد فقد اشتمل «المسند» على أربعين ألف حديث بالمكرر ، ومن غير المكـــرر : على ثلاثين ألف حديث .

وكان الذى حدا بالامام أحمد رضى الله عنه الى اتباع هذا المنهج فى التدوين ، وهذه الكثرة من الأحاديث هو :

أن يصل الى أهل كل اقليم ما لم يصل اليهم من الأحاديث ، فقد رأى أن بعض الأحاديث فى الكوفة لا يصل اليها أهل بغداد وبعضها فى مكة لا يصل اليها أهل دمشق ، وأحاديث فى دمشق لا يصل اليها أهل اليمن ..

وهكذا : كان فى كل بلد محدثون ، فكيف يحصل على ما جمع هؤلاء وهؤلاء ؟

من أجل هذا رأى أنه لابد من الرحلة لجمع الأحاديث المتفرقة فى البلاد النائية ..

فبدأ بما سمعه ببغداد ، ثم اتجه الى الكوفة فالبصرة ،فمكة فالمدينة فاليمن ..

وكان فى هذه البلاد يحرص على لقاء أهل الحديث ، ويجمع كل ما صح عنده .

وبهذا خطا خطوة جديدة فى جمع الحديث ، وهى : الرحلة ، فكانت سنة لمن جاء بعده ... وقد توسع فيها البخارى .

وكذلك أيضا — مما دعـــا الامام أحمد الى تدوين المسند — ما رآه فى عصره ، من كثرة المحاولات المعادية من أصحاب الملل الأخرى وأعداء الدين ، حتى عج تيار الموضوعات بصورة أفزعت هذا الامام الجليل . مما جعله يتصدى للقيام بهذا العمل الضخم والمجهود الكبير ليقدم ما صح فى رأيه من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

هذا : هو كتاب « المسند » للامام أحمد بن حنبل .. ومن هنا ندرك لـــماذا اتجه المستشرقون وأعداء الاسلام وأذنابهم اليـــوم لمحاربته ، لأنه يعتبر من أمهات كتب الحديث ، ويعتبر أضخم كتاب للسنة .

● وخطة أعداء السنة هى :

اما التشكيك فى المعنى ، وتصوير الحديث بأنه لا يتمشى مع العقل ، وأما التشكيك فى أكبر كتب السنة الشريفة . وأما التشكيك فى أكبر رواة الحديث من الصحابة الأجلاء رضـــوان الله تعالى عليهم مثل « أبى هريرة » .

ونناشد كل مسلم غيور ، وكل شاب من شباب الاسلام ألا ينظر فيما كتب هؤلاء الا وهو مسلح بعقيـــدة قوية وثقافة دينية

سليمة . وأن يطلب الحديث ، ومعنى الحديث من أهله وعلمائه المتخصصين فيه ، العارفين به ، ومن كتب السنة الصحيحة .

كما نناشد المسلمين ، فى شتى بلاد العالم ، ألا يسمحوا للأقلام المسمومة*، أو الأفكار الهدامة أن تتسرب الى محيط بلادهم . وأن يعتصموا بحبل الله ، وأن يتمسكوا بشريعتهم ، كما قال الله تعالى :

﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ (١)

وأن يتمسكوا بالسنة الشريفة ، فمن تمسك بكتاب ربه ، وسنة نبيه لا يضل أبدا ، كما قال الرسول صلوات الله وسلامه عليه : (**تركت فيكم ما ان تمسكتم به فلن تضلوا بعدى ابدا كتاب الله وسنتى**) .

ولقد قيض الله تعالى لكتاب « المسند » للامام أحمد بن حنبل من حققوه ، وخرجوا أحاديثه ، وبينوا درجة كل حديث وفهرسوه وبوبوه .

ومن هؤلاء : المرحوم الشيخ أحمد عبد الرحمن البنا وسماه :

« الفتح الربانى لترتيب مسند الامام أحمد بن حنبل الشيبانى »

والمرحوم الشيخ أحمد شاكر ، وقد قام الشيخ شاكر رحمه الله بعمل فهارس علمية ولفظية ، تعين الباحث ..

وقام باتمام باقى الأجزاء واكمالها فضيلة الدكتور الحسينى عبد المجيد هاشم — رحمه الله — وفق الله جميع المشتغلين بالحديث والعاملين فى حقل الاسلام والدعوة(٢) .

---

(١) سورة آل عمران ١٠٣

(٢) وأقوم الآن باكمال تحقيق هذا الكتاب وقد أتممت منه حتى الآن الجزء الثانى والعشرين ، وأدعو الله تعالى أن يوفقنى الى اتمامه .

أثر رواية الحديث فى رواية العلوم الأخرى

تميزت الرواية فى الاسلام — بصفة عامة ، وفى الحديث النبوى بصفة خاصة — بدقة التحرى ، وشدة التمحيص .

فقد شدد العلماء فيها ، وقعدوا لها القواعد ، وصاغوا لها الشروط وأصلوا لها الأصول بعناية فائقة ، تعتبر أدق ما وصل اليه النقد فى القديم والحديث .

وكان من مميزات الرواية فى الاسلام ، ومن خصائصها الهامة : (الاسناد الصحيح المتصل برواية العدول الضابطين) .

وظل العلماء على مر أدوار الحياة يتحرون الدقة ، ويعنون بالتثبت من الأخبار ، ونقدها سندا ومتنا . ورأوا أن الاسناد من الدين . قال عبد الله بن المبارك رحمه الله :

« الاسناد من الدين ، ولولا الاسناد لقال من شاء ماشاء(1) » .

ويقول محمد بن حاتم المظفر :

« ان الله أكرم هذه الأمة وشرفها وفضلها بالاسناد ، وليس

(1) مقدمة ابن الصلاح ص ١٠٥ .

لأحد من الامم كلها قديمهم وحديثهم اسناد ، وانما هى صـــحف فى ايديهم ، وقد خلطوا بكتبهم اخبارهم ، وليس عنـــدهم تمييز بين ما ألحقوه بكتبهم من الأخبار التى أخذوها عن غير الثقات » .

وهذه الأمة تتلقى الحديث من الثقةالمعروف بالصدق والأمانة عن مثله حتى تتناهى اخبارهم ، ثم يبحثون اشـــد البحث حتى يعرفوا الأحفظ فالأحفظ ، والأضبط فالاضبط ، والاطول مجالسة لمن فوقه ممن كان اقل مجالسة ، ثم يكتبون الحديث من عشرين وجها واكثر ، حتى يهذبوه من الغلط(١) » .

ومما سبق : يتضح أن الاسناد من خصائص هذه الأمة وقد رغب كثير من الأئمة الحفاظ فى الرحلة الى الأقطار الأسلامية ، طلبا لعلو الاسناد .

قال الامام أحمد بن حنبل « الاســـناد العـــالى سنة عمن سلف(٢) » وللرواية فى الاسلام مكانتها ومنزلتها ، وأثرها الهـــام فى العلوم الأخرى .

فلقد تأثر كثير من العلماء فى كثير من علوم اللغـــة والأدب والتاريخ والسير بعلماء الحديث ، ومناهجهم واســـانيدهم .. وقلدوا أئمة السنة فى ذكر السند .

---

(١) شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادى .

(٢) الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث لابن كثير تحقيق الشيخ احمد شـــاكر .

وسار كثير من علماء اللغة على نمط علماء الحديث فى ترتيب كلمات اللغة ا واطلقوا اصطلاحات يظهر فيها التأثر الكبير باصطلاحات الحديث كقولهم :

« جيد وأجود » وقولهم : « ضعيف ومنكر ومتروك » وذلك كما يصنع رجال الحديث فى قولهم مثلا : « صحيح وحسن وضعيف » وقولهم : « فلان ضعيف أو منكر » وهكذا .

كما تأثروا بعلماء الحديث ، وعلوم الحديث فى تجريح بعض الرواة وتعديلهم . وكان شأنهم فى هذا كشأن علماء السنة فعدلوا مثلا الخليل بن أحمد ، وأبا عمرو بن العلاء ، وجرحوا قطربا وكانت لهم محاولات فى تدوين الكلمات وكانت لهم طريقتان :

الطريقة الأولى :

دونوا فيها الكلمات حسبما أتفق دون ترتيب .

والطريقة الثانية :

وضعوا الكلمات المتعلقة بموضوع واحد فى موضع واحد . كما صنع المحدثون بالنسبة لمرحلة التدوين على المسانيد ، وعلى الأبواب .

ويظهر للناظر فى كتب تراجم الأدب صيغة المحدثين واضحة ككتاب : الأغانى ، فاننا نراه يسير على غرار اسناد المحدثين كقوله مثلا :

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن أبى عبيدة قال : بلغنى أن هذا البيت فى التوراة :

من يفعــل الخــير لا يعــدم جــوازيه
لا يذهب العــرف بين الله والنـــاس

وكانت المؤلفات فى تراجم الشــعراء ، وطبقاتهم على نمط طبقات المحدثين ، كما صنع ابن سلام ، حيث وضع طبقــات الشعراء وابن قتيبة ، كل ذلك على نمط المحدثين .

ولكن الرواية فى العلوم الأخرى لم تبلغ شأو ما بلغته رواية الحديث ، ولم تلق من العناية ما لقيته لدى المحدثين من دقة النقد، وتمحيص الروايات ، ولم يتمسك رواة العلوم الأخرى بالاســناد طويلا كما تمسك به المحدثون .

● وبعد تدوين السنة النبوية ، وازدهارها فى القرن الثالث الهجرى ، وبعد ظهور مناهج المحدثين واصطلاحاتهم .. بعد ذلك بكثير ظهرت فكرة **حديثة فى ((أوربا)) تهدف الى تحديد منهج جديد للتاريخ** . ظهر ذلك بعد تصنيف كتب صحاح الحديث بحوالى عشرة قرون . وعندما برز هذا المنهج الى حيز الوجود قوبل بالتقــدير البالغ وتناقله الشرقيون على أنه جديد . ولكنه فى الحقيقة مأخوذ ـــ من حيث الجملة ـــ ، من منهج المحدثين ، ومتأثر به .

مع هذا : فلم يصــل **المنهج التاريخى** الى ما وصل اليه منهج المحدثين الثقات الأخيار ، الذين جمعوا بين العلم والعمل . ودفعهم اخلاصهم لعقيدتهم ، وحبهم لرسولهم صلوات الله وسلامه

عليه ، الى أن ينقلوا سننه الشريفة بحرص بالغ ، ودقة فائقة ، فأودعوها سويداء قلوبهم ، ونقشوها على صفحات صدورهم الأمينة ، متتبعين فى التحمل والأداء أقصى ما فى الوسع الانسانى ، ومترسمين أدق الطرق وأقواها حتى تم تدوين السنة نقية مشرقة.

وكيف لا : وصاحب السنة هو رسولهم الذى لا ينطق عن الهوى ، ان هو الا وحى يوحى .

يقول الدكتور محمود قاسم عن المنهج الأوربى :

لم يتتبع القدماء الأوربيون منهجا سليما فىدراسةالتاريخ،فكانوا يخلطون بينه وبين فن القصص ، وكانوا يجمعون الوثائق والروايات كيفما اتفق ، ثم يصهرونها ويصبونها فى قالب أدبى جذاب . ولكن علماء المسلمين عنوا عناية كبرى بنقد الرواة ، وبتمحيص طرقهم فى النقل . ولا سيما فيما يتعلق بدراسة أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام(1)أ.هـ .

واذا كان أصحاب المنهج الحديث يرون وجوب الحذر فى استخدام الوثيقة التى لديهم ، كالحذر من استخدام أول نسخة تقع لديهم ، أو الاعتماد على أقدم النسخ ، أو الميل الى اتخاذ حكم الأغلبية ، فانه بفحص هذه الطريقة لا يوجد لها اتصال وثيق الى صاحبها الأول وكاتبها .. فانهم لا يتتبعون طرق وصولها الى أيديهم .

---

(1) المنطق الحديث ومناهج البحث للدكتور : محمود قاسم والبخارى محدثا وفقيها للدكتور الحسينى هاشم .

فأين هذا من منهج المحدثين ، الذين تقوم الرواية فيه على نقل الثقة عن الثقة يبلغ به النبى صلى الله عليه وسلم مع الاتصال.

ومما لا شك فيه : أن الاسناد الصحيح المتصل من خصائص الأمة الاسلامية .

وأما هذا الذى وجهوه الى نقد الوثائق من حيث الحذر فى استخدامها .. الخ : فقد تأثروا فيه ببعض طرق المحدثين .. ولكنهم لم يصلوا الى ما وصل اليه المحدثون حيث وضعوا للحيطة والمحافظة على الحديث أدق ما وصل اليه النقد قديما وحديثا . ووضعوا قرائن تدل على الوضع ، منها :

اقرار واضعه .. وركاكة اللفظ .. وفساد المعنى .. ومناقضة الخبر للكتاب الكريم والسنة الصحيحة .. ومخالفته للحقائق التاريخية المشهورة ..ومخالفته للعقل الاسلامى السليم.. وغير ذلك من الأمور .

كما قام رجال السنة بحصر الأخبار الموضوعة ، وحكموا على بعض الأحاديث بالشذوذ والنكارة والاضطراب والوضع والاختلاف.

ويعتمد أصحاب المنهج الحديث على الحفريات والأوراق المتناثرة ، التى قد تكون منذ آلاف السنين ، ولا يعترف بها رجال الحديث .

وأين هذه الأمور مما اشترطه المحدثون من طرق التحمل والأداء ، ولو أن أصحاب هذا المنهج التاريخى اشترطوا شروطا

كشروط المحدثين ، أو صاغوا مناهج كمناهجهم ، ما كان ليصلهم شيء من تاريخهم ولا ثبت عندهم الا القليل .

وانى لهم ذلك ؟ والمحدثون فى دقتهم وتحريهم ، قد وصلوا الى درجة عالية .

فهاهو الامام البخارى يقـــول : « كتبت عن الف ثقـــة من العلماء وزيادة ، وليس عندى حديث لا أذكر اسناده(١) » .

وقال ايضا رحمه الله :

« لم تكن كتابتى للحديث كما كتب هؤلاء ، كنت اذا كتبت عن رجل سألته عن اسمه وكنيته ونسبه ، وحمل الحديث ان كان الرجل فهما ، فان لم يكن سألته ان يخرج الى اصله ونسخته » .

ولم يكن من بين أهـــل الحديث من يحابى — فى الحديث — اباه ولا اخاه ولا ولده — كشأن غيرهم — وهذا على بن المدينى شيخ البخارى لا يروى عنه حرف واحد فى تقوية ابيه بل يروى عنه ضد ذلك(٢) .

هذا بالاضافة الى ان المحدثين ، يقدمون الحديث متنا وسندا، بكامل رواته ، فيبحث عنه من شـــاء الاستيثاق به ، فيراه مثلا موصولا فى موضع آخر ، وعند رواة آخرين ثقات ، وهكذا .

---

(١) تاريخ بغداد جـ ٢ ص ١٩ مطبعة السعادة .
(٢) شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادى ص ٨٠ .

أما أصحاب المنهج التاريخى الحديث ، فيطبقون منهجهم فيما بينهم ، ولا يوقفون القارىء على خطوات بحثهم .

فعلى التابعين للفكر الغربى وللمستشرقين أن ينظروا الى ما يقولونه فى منهجهم ، وما يتعصبون به .

• فكيف بالنص النبوى الشريف ، الذى توفرت فيه شروط الصحة ، وتوفر لأصحابه أسمى صفات الصدق والثقة ، حتى دونت السنة النبوية على أدق المناهج والمقاييس العلمية ؟

أو ليس أولى بكتب السنة اذا الاعتراف بها ، والسير على هديها ، ومحاربة كل من يحاول النيل منها ؟ خاصة وأن رواتها قد جمعوا الشروط العالية : من الاسلام والعقل ، والصدق ، وعدم التدليس ، والضبط ، والعدالة .. فيكون الراوى مسلما بالغا عاقلا ، خاليا من أسباب الفسق وخوارم المروءة . والا يكون سفيها به حمق وعدم اتزان ، والا يكون ممن لا يزن الأمور بدقة ، والا يكون صاحب بدعة .

لقد كان لمنهج المحدثين أثره العظيم ، وقوته فى مجال النقد العلمى ، وكان لرواية الحديث أثرها فى رواية العلوم الأخرى .

وقد أدرك السلف ذلك ، فعرفوا للسنة مكانتها وأهميتها وحرمتها فى نفوسهم . فقاموا عليها بالحفظ والعناية والضبط والصيانة ، وبالتطبيق العملى لما جاءت به من مبادىء ومثل ، فعايشوا السنة قولا وعملا وسلوكا وأخلاقا ، فكانوا بحق خير أمة أخرجت للناس .

ونحن لا نستهدف من وراء هذه الدراسة : الا تجلية الموقف أمام القراء ، حتى يتعرف كل قارىء أو باحث على ما كان لعلماء السنة من جهود علمية مخلصة ، ومناهج غاية فى الدقة .. حتى وصلت السنةالشريفة الينا بأدق طرق الرواية والتدوين ، مما لا يدع مجالا للمشككين أو أعداء الاسلام ، الذين مازالوا حتى يومنا هذا ، ينكرون الكثير من السنة الصحيحة ، ويحكمون عقولهم البشرية القاصرة القابلة للخطأ والصواب ، المتضاربة فى أحكامها .

كما أردنا كذلك : أن نخلص من هذه الدراسة بما كان للحديث الشريف وعلومه من أثر فى الثقافة الاسلامية الأصيلة وسائر العلوم الأخرى .

لا توهين ما قام به المخلصون من العلماء فى كل فن وعلم من جهود تذكر فتشكر .

ولكنها الدعوة المخلصة والأمينة ، الى أن نصون خير تراث على ظهر الأرض وأعظم ميراث ، هو ميراث النبوة .

وقد شرفنا الله سبحانه وتعالى ، بأن جعلنا خير أمة أخرجت للناس لندعو للحق على هدى وبصيرة ، أمرا بالمعروف ونهيا عن المنكر ، كما قال تعالى :

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (١)

---

(١) سورة آل عمران (١١٠) .

وما أحوج البشرية اليوم فى شتى أقطارها : الى العمل بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ومضاعفة الدراسة والبحث ، فيما يتصل بهذين الأصلين الكريمين .. والاقتداء بصاحب السنة المطهرة عليه افضل الصلاة والسلام . كما وجهنا القرآن الكريم لذلك ، فى قول الله تعالى :

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ (١)

وان فى دراسة الكتاب والسنة ، وما كان عليه السلف من فهم وسلوك ، وعمل وتطبيق ، الخير كل الخير ، لصالح العالم الاسلامى ، وتوحيد كلمته ، ونشر دعوته ، حتى يتبوأ المسلمون فى كل بقعة على ظهر الارض المكانة المرموقة وحتى يستعيدوا أمجادهم التالدة ، وتراثهم العريق الذى ما عرفت الحياة له مثيلا .



(١) سورة الاحزاب (٢١)

الفصل الرابع

الوضع في السُّنة ومقاومة العلماء له

الوضع في الحديث.. ومقاومته

● الوضع فى السنة ومقاومة العلماء له

● الوضع فى الحديث ومقاومته

لم يشع الكذب فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولا عهد الخلفاء الراشدين من بعده ، وما كان بينهم من خلاف فقهى ، فلا يتعدى اختلاف وجهة النظر فى أمور الدين .

أخرج البيهقى أن انسا حدث بحديث ، فقال له رجل : « اسمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم أو حدثنى من لم يكذب ، والله ما كنا نكذب ولا كنا ندرى ما الكذب » .

وكان الكذب فى عهد كبار التابعين أقل منه فى عهد صغارهم ؛ لوجود الصحابة وكبار التابعين ، ولما كانوا عليه من الورع والتدين، ولأن الخلاف السياسى كان فى أول عهدهم بسيطا .. كل ذلك كان سببا فى تضييق بواعث الوضع والحد من الكذب .

ولما كان الشيعة هم أول من تجرأ على ذلك فيمكننا الحكم : بأن أول بيئة نشأ الوضع فيها هى : العراق وكان الامام مالك رضى الله عنه يسمى العراق « دار الضرب » اى تضرب فيها الأحاديث، كما تضرب الدراهم .

ويقول : نزلوا أحاديث أهل العــراق منزلة أهل الكتاب ، لا تصدقوهم ولا تكذبوهم ، وقال له عبد الرحمن بن مهدى : يا أبا عبد الله ، سمعنا فى بلدكم – المدينة – أربعمائة حديث فى أربعين يوما ، ونحن بالعراق ، نسمع هذا كله فى يوم واحد .

فقال له : يا عبد الرحمن، من أين لنا دار الضرب التى عندكم؟ تضربون بالليل ، وتنفقون بالنهار .

وقال ابن شهاب : يخرج الحديث من عندنا شبرا ، فيعود فى العراق ذراعا ، وذلك لبعد العراق عن الحجاز ، ولوجود أخلاط المسلمين ، من مختلف الأمم ، وظهور المذاهب المختلفة فى العراق : من معتزلة ، ومرجئة ، وأصناف من المتكلمين .. وكل صنف من هؤلاء ، يؤيد رأيه بتأويل آيات القرآن واختلاق الحديث .



اسباب الوضع فى الحديث

١ ــ التعصب السياسى :

كان للأحداث السياسية أثرها فى انقسام المسلمين شيعا واحزابا ، وسبب هذا الانقسام قيام المذاهب الدينية التى حاول اصحابها تأييد موقفهم بالقرآن والسنة .

فتأول بعضهم القرآن على غير وجهه السليم ، وحملوا السنة ما لا تتحمله .

وقد عجزوا عن الوضع فى القرآن ، لأنه ثبت بالتواتر المفيد لليقين والقطع ، ولتوفر المسلمين على حفظه وتلاوته ، فقد تكفل الله تعالى بحفظه .

فوجهوا عداوتهم الى الوضع فى الحديث ، لتأييد ما يدعون ، فخلطوا الصحيح بغيره ووضعوا احاديث فى فضائل أئمتهم ورؤساء احزابهم .

وبهذا الوضع انغمست الفرق السياسية فى حمأة الكذب والوضع .. وكانت الرافضة أكثر الفرق كذبا .

يقول ابن تيمية : « وكذب الرافضـــة مما يضرب به المثل »
وسئل مالك عن الرافضة ؟ فقال :

« لا تكلمهم ، ولا ترو عنهم ، فانهم يكذبون(١) » .

وقال حماد بن مسلم : حدثنى شيخ لهم قال : « كنا اذا اجتمعنا فاستحسنا شيئا جعلناه حديثا(٢) » .

وقد أسرف الرافضة فى وضع الأحاديث فى فضائل على وآل بيته ، بجرأة بالغة ، وذلك : لأن أكثرهم من الفرس الذين تستروا بالتشيع لينقضوا عرى الاسلام .

وأما الشيعة : فقد كثر الوضع منهم ، وصنعوا بعض الأخبار التى تنال من أبى بكر الصديق ، وعمر ، زاعمين أنهما أساءا الى « على » . ومن الأخبار التى وضعوها : « وحيى وموضع سرى وخليفتى فى أهلى وخير من أخلف بعدى على(٣) » .

وحين وجد أهل الأحزاب الأخرى أن ما وضعه الشيعة ينقص من أبى بكر ، وعمر ، وعثمان ، ومعاوية ، هب بعض الوضاعين من أحزابهم بوضع ما يقابل هذا من أحاديث ترفع من شأنهم ، من ذلك .

« ما فى الجنة شجرة الا مكتوب على كل ورقة منها لا اله الا الله محمد رسول الله ، أبو بكر الصديق ، وعمر الفاروق وعثمان ذو النورين » .

---

(١) منهاج السنة جـ ١ ص ١٣ .
(٢) منهاج السنة جـ ١ ص ١٣ .
(٣) اللالىء المصنوعة جـ ١ ص ١٨٥ .

كما وضع المتعصبون لمعاوية والأمويين أخبارا كثيرة كما فعل الذين أيدوا العباسيين .

ولما رأى بعض الذين حسنت نياتهم ، من طعن وتجريح فى حق الصحابة ، دفعهم حبهم للصحابة ، أن يضعوا أحاديث فى فضلهم ، ليبينوا بها انهم جميعا خيار ، ولا فرق بينهم وظنوا أنهم بهذا العمل يقدمون خيرا .. وفاتهم أنهم قد ارتكبوا منكرا ، بكذبهم على الرسول صلى الله عليه وسلم .

وكان الشيعة منهم : المعتدلون ، الذين يرون أفضلية على وأوليته بالخلافة ، وهم مسلمون مخلصون .. ومنهم : الغلاة ، الذين تظاهروا بالمحبة لآل البيت وهم بعيدون عن الاسلام .

وكان هدفهم أن يدخلوا ما معهم من مبادىء اليهودية والنصرانية ، والزرادشتية فى الاسلام ، ليشوهوا معالمه وعقيدته .

وكان من هؤلاء طائفة تعتقد أن جبريل أخطأ فى النزول بالرسالة على محمد ، وهى لعلى .

وطائفة تقول بألوهية على ، وهم اصحاب عبد الله بن سبأ . ولقد اعلن على براءته منهم .. وأطلق المؤرخون على هؤلاء اسم « غلاة الشيعة » .

ولما كانت آراؤهم الهدامة لا مجال لها فى النفوس ، البسوها ثيابا مصطنعة ، وتقنعوا بالدين .. فلجأ أهل الزيغ منهم — تأييدا لآرائهم الزائفة — الى الوضع فى السنة فأساءوا الى الحديث النبوى ، والى الاسلام عامة .

٢ ــ التعصب العنصرى :

ومن أسباب الوضع أيضا : التعصب العنصرى ، وقد ظهر عندما ظهرت ــ قديما ــ على السنة بعض العامة فكرة تفضيل العجم على العرب ، وهى التى تعرف بالشعوبية ، وقد ساعد على انتشار هذه الفكرة أن الخلفاء العباسيين لم يتعصبوا للعربية فانتهز الشعوبيون الفرصة فى محاربة العرب ، ووضعوا أحاديث فى فضل الفرس وبلدانهم وعلمائهم ، والحط من قيمة العرب ، ومن ذلك ما وضعوه فى فضل ابى حنيفة النعمان لأنه من أصل فارسى ، وذم الشافعى لأنه عربى .

وقد بلغ بهم التعصب مبلغا كبيرا ، أدى بهم الى الالحاد فى الدين ، والتحلل من أحكامه .

وأما أحاديثهم الموضوعة : فلم تكن بخافية على العلماء وائمة الحديث الذين تتبعوها ، وكشفوا زيفها وميزوا بين الصحيح وغيره .

٣ ــ الزندقة :

تطلق الزندقة : على أتباع دين المجوس مع التظاهر بالاسلام، وقد اتسع اطلاق الزندقة ، فصارت تطلق على الملحدين الذين لا دين لهم ، كما أطلقت ايضا على الاباحيين الذين يتبجحون بالقول فيما يمس الدين .

وكان الطريق الذى سلكه الزنادقة لانتشار الزندقة ، هو الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لاثارة الشبه والطعون رغبة منهم فى تنفير الناس منه والتحلل من أحكامه حتى تضعف قوة المسلمين ، فيتمكن هؤلاء من فرض سلطانهم .

وقد نشروا كثيرا من المذاهب الضالة ، وتقنعوا بأثواب نحل مختلفة ، يستهدفون استدراج الناس ، واجتذابهم من دينهم ، كما شقوا طريق الوضع فى الحديث ، متسترين بأسماء مختلفة ، فوضعوا أحاديث فى العقائد ، وأخرى فى الأخلاق ، وغيرها فى الحلال والحرام .

وقد تعقب الخلفاء العباسيون الزنادقة ، فشنقوهم وقاوموا تلك الحركة الخبيثة ، كما لم يخف على رجال الحديث فسادهم فشمر الجهابذة والنقاد عن ساعد الجد وتتبعوا هؤلاء الكذابين والوضاعين ، وهكذا : كانت يقظة الأمة الاسلامية فى حرصها على حراسة الدين ، وحمايته من كل دخيل .

٤ ــ القصاصون :

وجد كثير من ادعياء العلم والمرتزقة الذين لا يهمهم الا التفاف العامة حولهم ، فيثيرون مشاعر الناس وعواطفهم بالقصص ، ويستدرون ما عندهم ، فوضعوا الأحاديث فى قصصهم رغبة منهم فى استمالة قلوب العامة اليهم ، واكثر هؤلاء القصاص من الجهال،

الذين تشبهوا بأهل العلم ، فأفسـدوا كثيرا من عقول العامة بما كانوا ينشرونه بين الناس حين يقومون بمهمة الوعظ وليس يهمهم الا أن يستدروا المال ، وبكاء العيون ، واعجاب الناس بهم ، وفى سبيل ذلك وضعوا الأكاذيب على رسول الله صلى الله عليـه وسلم .

٥ ـ الخلافات الفقهية والكلامية :

اتجه أصحاب المذاهب الفقهية ، والكلامية الى تأييد مذاهبهم بأحاديث مكذوبة ، وضعوها تأييدا لهم ، ومن ذلك . ما روى انه قيل لمحمد بن عكاشة الكرمانى : ان قوما يرفعون أيديهم فى الركوع وفى الرفع منه ، فقال : حدثنا المسيب بن واضح عن أنس مرفوعا: « من رفع يديه فى الركوع فلا صلاة له(١) » وحديث : « كل ما فى السموات والأرض وما بينهم فهو مخلوق غير الله والقرآن ، وذلك انه كلامه منه بدأ ، واليه يعود ، وسيجىء أقوام من أمتى يقولون القرآن مخلوق ، فمن قاله منهم فقد كفر بالله العظيم ، وطلقت امرأته من ساعته ، لأنه لا ينبغى لمؤمنة أن تكون تحت كافر الا أن تكون قد سبقته بالقول(٢)) .

ويظهر فى هذا القول : ركاكة اللفظ ، كما يكشف اتجاه مرماه عن الوضع فى وضـوح .

---

(١) تدريب الراوى ص ١٨ والباعث الحثيث .
(٢) اللالىء المصنوعة جـ ١ ص ٣ .

٦ ـــ الجهل بالدين مع الرغبة فى الخير :

قام بعض الجهلة بالدين ـــ الذين كانوا على جانب من الصلاح والورع والزهد ـــ بوضع أحاديث فى الترغيب والترهيب ، حينما ساءهم وجود بعض الناس المتكالبين على الدنيا ، والذين تركوا آخرتهم ، فوضعوا بعض الأحاديث التى ترغبهم فى الآخرة ، وتخوفهم من عذاب الله . ومن هؤلاء غلام خليل ، وهو : أحمد ابن محمد بن غالب الباهلى ، كان معروفا بالزهد ، وتوفى فى رجب سنة ٣٧٥هـ(١) قال عبد الله النهاوندى : ما هذه الرقائق التى تحدث بها ؟ قال : وضعناها لنرقق بها قلوب العامة .

وهؤلاء هم أشد الوضاعين ضررا ، وأفدح خطرا ، لأن أحاديثهم المختلفة كانت تجد قبولا عند بعض الناس ، لما كانوا عليه من الزهد والصلاح ، ولهذا : قال يحيى القطان : « ما رأيت الكذب فى أحد أكثر منه فيمن ينسب الى الخير » .

كما رأى البعض منهم : انشغال الناس بالفقه ، فخاف ان يعرضوا عن القرآن ، فوضع أحاديث فى فضائل سور القرآن وقد قيل لأبى عصمة نوح بن أبى مريم : من أين لك عن عكرمة عن ابن عباس فى فضائل القرآن سورة سورة وليس عند أصحاب عكرمة هذا ؟ فقال : انى رأيت الناس قد أعرضوا عن القرآن ، واشتغلوا بفقه أبى حنيفة ، ومغازى ابن اسحاق ، فوضعت هذا الحديث حسبة .

وروى ابن حيان فى الضعفاء عن ابن مهدى قال : قلت لميسرة

---

(٢) ميزان الاعتدال جـ ١ ص ٦٧ .

ابن عيد ربه : من أين جئت بهذه الأحاديث : من قرأ كذا فله كذا ؟.
قال : وضعتها أرغب الناس فيها(١) .

وكان هؤلاء الوضاعون اذا قيل لهم فى ذلك قالوا : نحن ما كذبنا عليه أى على الرسول صلى الله عليه وسلم ، وانما كذبنا له . وهذا من تمام جهلهم الفاضح ، وفجورهم وافترائهم فانه عليه السلام لا يحتاج فى كمال شريعته الى غيره(٢) .

مقاومة الوضع

قيض الله سبحانه لسنة نبيه صلى الله عليه وسلم رجالا أمناء ، صدقوا فى اخلاصهم لله ولرسوله ، ونصبوا انفسهم للذب عن السنة الشريفة ، فأفنوا أعمارهم فى التمييز بين الصحيح والباطل صيانة للسنة النبوية الشريفة ، وحفاظا على الاسلام من الدس والتحريف .

وفى سبيل تنقيح السنة وتنقيتها من الوضع : بذل علماء الأمة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم جهودا مخلصة فوضعوا قواعد الجرح والتعديل ، وكان من ثمرة اعمالهم : (علم مصطلح الحديث) ، وهو : يشتمل على أدق الطرق العلمية فى التحقيق التاريخى ، واقومها فى التمحيص والنقد ، وكانت القواعد التى اتبعوها فى جهودهم تتسم بالآتى :

---

(١) تدريب الراوى ص ١٨٤ .
(٢) الباعث الحثيث ص ٧٩ .

التزام اسناد الحديث

ظل الصحابة والتابعون بعد انتقال الرسول صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الأعلى منعمين فى جو من الصدق ، آمنين على تراث نبيهم ، حيث كانت صدورهم الأمينة تفيض بالثقة والاخلاص، وقلوبهم الواعية تنبض بالايمان والصدق ، فكان البعض يسند الحديث مرة ولا يسنده أخرى ، الى أن حدثت الفتنة ، وظهرت الأحزاب والفرق ، وأخذ الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم يزداد شيئا فشيئا فانبرى الصحابة والتابعون يمحصون الأحاديث سندا ومتنا ويشددون فى معرفة الرواة والطرق ، ويلتزمون الاسناد دائما .

وكان ابتداء مرحلة التحرى والتزام الاسناد منذ عهد صغار الصحابة الذين تأخرت وفاتهم عن زمن الفتنة(١) فمنذ ذلك الحين وهم يتشددون فى التزام الاسناد دائما ، عن ابن سيرين قال : (لم يكونوا يسألون عن الاسناد فلما وقعت الفتنة قالوا : سموا لنا رجالكم ، فينظر الى أهل السنة ، فيؤخذ حديثهم وينظر الى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم(٢) فقد كانوا يتسارعون الى أخذ الحديث وسماعه ، فلما وقعت الفتنة وركب الناس الصعب والذلول ، لم يأخذوا من الأحاديث الا ما يعرفون والتزموا التثبت والاسناد .

---

(١) السنة ومكانتها فى التشريع ص ١٠٧

(٢) مقدمة صحيح مسلم شرح النووى ص ٧١ ج ١ الشعب .

٢ ـ التثبت من الأحاديث :

كان من فضل الله وعنايته بالسنة النبوية أن بارك فى أعمار عدد من الصحابة والفقهاء ، يرجع الناس اليهم ويلجأون لهم حين يقع الاختلاف ليستوثقوا من الأحاديث . وقد كثرت الرحلات العلمية لبعض الصحابة والتابعين وأتباعهم ومن بعدهم من علماء الحديث من أجل التثبت . يقول سعيد بن المسيب : « ان كنت لأسير الليالى والأيام فى طلب الحديث الواحد(١) » .

وفى سبيل التثبت : كانوا يتذاكرون الأحاديث فيما بينهم ، لمعرفة ما يأخذون منها ، وترك ما ينكرونه ، كما كانوا على جانب كبير من الوعى والحيطة ، بحيث يحفظون الأحاديث الصحيحة والضعيفة والموضوعة ، خشية أن تختلط عليهم ، وحتى يستطيعوا التمييز بين الصحيح وغيره بدقة فائقة ، وحيطة بالغة ، روى أبو بكر بن الأشرم : « أن أحمد بن حنبل رأى يحيى بن معين بصنعاء فى زاوية ، وهو يكتب صحيفة معمر عن أبان عن أنس ، فاذا أطلع عليه انسان كتمه ، فقال له أحمد بن حنبل : تكتب صحيفة معمر عن ابان عن أنس وتعلم أنها موضوعة ، فلو قال لك قائل : انك تتكلم فى أبان ثم تكتب حديثه على الوجه ؟ فقال : رحمك الله يا أبا عبد الله ، اكتب هذه الصحيفة عن عبد الرازق عن معمر على الوجه ، فأحفظها كلها ، وأعلم أنها موضوعة ، حتى لا يجىء بعده انسان فيجعل بدل أبان ثابتا ، ويرويها عن معمر عن ثابت عن

---

(١) جامع بيان العلم ج ١ ص ٩٤ .

أنس بن مالك ، فأقول له : كذب ، انما هى عن معمر عن أبان لا عن ثابت(١) .

ومن اجل التثبت كذلك : ناهض العلماء الكذابين ، ومنعوهم من التحديث ، واشتدوا عليهم ، لدرجة أنهم كانوا يضربونهم أحيانا، ويهددونهم بالقتل أحيانا أخرى ، عن حمزة الزيات قال : « سمع مرة الهمدانى من الحارث الأعور شيئا ، فقال له : اقعد بالباب ، قال : فدخل مرة وأخذ سيفه ، قال : وأحس الحارث بالشر فذهب(٢) » .

٣ ـ نقد الرواة ودراسة حياتهم وتاريخهم وبيان احوالهم من صدق أو كذب :

وقد وصلوا عن طريق هذه الدراسة الى تميز الصحيح من المكذوب ، وكانت لديهم قواعد اتبعوها وساروا عليها فى الأخذ عن الرواة أو عدم الأخذ منهم فحصروا المتروكين الذين يكذبون على الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأصحاب البدع والأهواء والزنادقة ، والذين لا يفهمون ما يحدثون ، ومن لا تتوافر فيهم صفات الضبط والعدالة والفهم .

وقد عين ائمة النقاد أياما ليتكلموا فى الرجال ، وكانوا يسألون عن الرواة لمعرفة احوالهم ، والتمكن من صدقهم أو كذبهم ، فكانوا

---

(١) الجامع لأخلاق الراوى ص ١٠٧ .
(٢) مسلم شرح النووى ج ١ ص ٩٩ .

ينقدونهم نقدا صحيحا دقيقا . عن يحيى بن سعيد قال : « سألت سفيان الثورى وشعبة ومالكا وابن عيينه عن الرجل لا يكون ثبتا فى الحديث ، فيأتينى الرجل فيسألنى عنه ، قالوا : اخبر عنه انه ليس بثبت(١) » .

وكانوا فى حكمهم لا يخافون فى الحق لومة لائم ، ولا تأخذهم عاطفة ، حتى ولو كان أخاه . يقول زيد بن أبى أنيسة: « لا تأخذوا عن أخى(٢) » . ولم يحاب أحـد من أهل الحديث أباه ولا أخاه ، وهذا على بن المدينى المتوفى سنة ٢٣٤هـ ، وهو امام الحديث فى عصره ، لا يروى عنه حرف فى تقوية أبيه ، بل يروى عنه ضد ذلك(٣) » .

وهكذا : أخلصوا عملهم لله ، وخدموا الشريعة السمحة بدفع ما يشوبها ، وتخليص الغث من الثمين ، وبهذا تكون (علم الجرح والتعديل) الذى وضع قواعده كبار الصحابة والتابعين وأتباعهم .

وكان الضعفاء فى القرن الثانى اكثر منهم فى القرن الأول ، وقد تناول الحديث فى العدالة والتجريح كثير من الأئمة وبينوا من تقبل روايته ومن لا تقبل روايته .

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى جـ ١ ص ٩٢ .
(٢) المصدر السابق جـ ١ ص ١٢١ .
(٣) شرف اصحاب الحديث للخطيب البغدادى ص ٨٥ مخطوط بدار الكتب المصرية .

وتكامل علم الجرح والتعديل من العهد النبـوى الى عهد التدوين ، والفت المصنفات الكبيرة فى الرواة ، والفت كتب خاصة بالضعفاء ، فصار من السهل التمييز بين المحق والمبطل ، على أساس من القواعد الدقيقة ، حتى اكتمل هذا العلـم فى القرن الثالث الهجرى على أيدى الأئمة الأعلام ، الذين أخذوا على عاتقهم حفظ السنة الشريفة ، والذود عن حياضـها فألفـوا الكتب الكثيرة فى الجرح والتعديل .



وضع قواعد عامة لتقسيم الحديث وتمييز الصحيح من غيره

لم يكتف العلماء فى التزام الاسناد والتثبت من الأحاديث بالرحلة ، ومراجعة الأحاديث ، ودراسة الأسانيد والطرق ، وانما ضموا مع هذا تقسيم الحديث الى درجات :

صحيح ، وحسن وضعيف ، وذلك لمعرفة القوى من الضعيف وما يقبل وما يرد ، ولم يعرف الحسن فى القرن الثانى الهجرى، وانما عرف فيما بعد(١) . وكتاب أبى عيسى الترمذى أصل فى معرفة الحسن قال ابن الصلاح : وان وجد فى متفرقات من كلام بعض مشايخه والطبقة التى قبله (أحمد والبخارى وغيرهما) .

وقد وضع العلماء قواعد يعرفون بها الحديث الموضوع وبينو العلامات الدالة على وضعه ، منها : ما هو فى السند ، ومنها ما هو فى المتن . أما العلامات الدالة على الوضع فى السند فأهمها :

١ — أن يكون راوى الحديث معروفا بالكذب ويتفرد برواية الحديث ولا يرويه ثقة غيره .

---

(١) تدريب الراوى للسيوطى .

٢ — اقرار واضع الحديث بوضعه ، كما أقر ميسرة بن عبد ربه الفارسى أنه وضع أحاديث فى فضائل القرآن(١) .

٣ — ما يقوم مقام الاعتراف بالوضع بأن يكون هناك قرينة مانعة من صحة الحديث : كأن يروى الراوى عن شيخ لم يثبت لقاؤه به ، أو ولد بعد وفاته ، أو لم يدخل المكان الذى ادعى سماعه فيه ، وهذا يعرف عن طريق دراسة تاريخ مولد الرواة ، واقامتهم ورحلاتهم ووفاتهم .

كما قسموا الرواة الى طبقات ، وعرفوا عنهم كل صغيرة وكبيرة ، وبهذا تكون (علم الطبقات) الذى لا يستغنى عنه رجال الحديث ونقاده .. يقول سفيان الثورى : « لما استعمل الرواة الكذب استعملنا لهم التاريخ » .

٤ — معرفة حال الراوى وبواعثه النفسية مثل : ما وقع من سعد بن ظريف حين جاء ابنه من الكتاب يبكى ، فقال : مالك ؟ قال : ضربنى المعلم ، قال: لأخزينهم اليوم ، حدثنى عكرمة عن ابن عباس مرفوعا : « معلموا صبيانكم شراركم أقلهم رحمة لليتيم ، واغلظهم على المسكين » .

ولم تصل أمة من الأمم الى ما وصلت اليه الأمة الاسلامية فى التحقيق والضبط ، فقد عنى رجال الحديث بالسنة عناية لم يجد

---

(١) الباعث الحثيث ص ٨١ .

معها أهل الأهواء ثغرة ينفذون منها الى نقض قواعدهم العلمية ، ولذا كان نقد بعض المستشرقين والمغرضين وأمثالهم يتجه الى المتن زعما منهم ان المتن لم يلق من رجال الحديث ما لقيه السند من العناية .

علامات الوضع فى المتن

بذل علماء السنة جهودا مشكورة ، وعناية فائقة بالمتن ، ولئن كانت الجهود التى بذلت فى العناية بالسند أكثر من المتن ، فليس هذا تقصيرا منهم لحال المتن ، وانما يرجع ذلك الى كثرة أحوال السند وتعددها ، مما كان سببا فيما يتعلق به من علوم وبحوث كثيرة ، على أنه قد قام علماء السنة ببحث ودراسة الصفات التى يجب توافرها فى صحة المتن ، وبيان العلامات الدالة على وضعه وهذه أهمها :

● ركاكة المعنى واللفظ ، وتعرف بكثرة الممارسة لألفاظ الحديث النبوى ، فتحصل هيئة نفسانية ، وملكة يعرف بها اللفظ النبوى من غيره .

قال الحافظ ابن حجر : « المدار فى الركة على ركة المعنى فحيثما وجدت دلت على الوضع ، وان لم ينضم اليها ركاكة اللفظ ، لأن هذا الدين كله محاسن ، والركة ترجع الى الرداءة . أما ركاكة

اللفظ فقط فلا تدل على ذلك ، لاحتمال أن يكون رواه بالمعنى فغير الفاظه بغير فصيح .

نعم ان صرح بأنه من لفظ النبى صلى الله عليه وسلم فيكون حينئذ كاذبا .

وقال الربيع بن خيثم : « ان للحديث ضوءا كضوء النهار نعرفه ، وظلمة كظلمة الليل ننكره(١) » .

● فساد المعنى بأن يخالف الحديث بدهيات العقول أو القواعد العامة فى الأخلاق والآداب أو يخالف الحسن أو قواعد الطب أو ما يوجبه العقل من تنزيه الله سبحانه وتعالى :

أو يخالف قطعيات التاريخ ، أو سنة الله فى الكون والانسان أو يشتمل على سخافات يبعد عنها كل عاقل .

يقول ابن الجوزى : ما أحسن قول القائل : اذا رايت الحديث يباين المعقول ، أو يخالف المنقول ، أو يناقض الأصول ، فاعلم أنه موضوع(٢) .

● مخالفته للقرآن الكريم أو السنة المتواترة أو الاجماع القطعى ، أما المعارضة مع امكان الجمع فلا(٣) .

---

(١) الباعث الحثيث ص ٨٢ .
(٢) تدريب الراوى ص ١٨٠ .
(٣) الباعث الحثيث ٨٣ .

قال ابن القيم : ومن الأمور التى يعرف بهـــا أن الحـــديث موضوع مخالفته صريح الكتاب ، كحديث مقدار مدة الدنيا وأنهـــا سبعة آلاف سنة لمخالفته قوله تعالى :

﴿ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ﴾ (١)

وقوله تعالى :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾ (٢)

ومن ذلك أيضا : مخالفته صريح السنة المسلم بها لشهرتها أو لتواترها مثل :

« اذا حدثتم عنى بحديث يوافق الحق فخذوا به سواء حدثت به أو لم أحدث » فان هذا مخالف للحديث المتواتر :

« من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » .

ومثل :

« من قضى صلوات الفرائض فى آخر جمعة من رمضان كان ذلك جابرا لكل صـــلاة فاتته فى عمره الى سبعين سنة » .

فان هذا مخالف لمـــا أجمع عليه من أن الفائتة لا يقوم مقامها شىء من العبادات(٣) .

● مخالفته للوقائع التاريخية المقطوع بصحتها ومثاله :

---

(١) سورة الاعراف (١٨٧) .
(٢) سورة لقمان (٣٤) .
(٣) السنة ومكانتها فى التشريع الاسلامى والسباعى ص ١١٧ .

ما رواه الامام مسلم بسنده عن أبى وائل قال :

خرج علينا ابن مسعود بصفين فقال أبو نعيم : أتراه بعث بعد الموت(١) ؟ ، لأن ابن مسعود توفى قبل صفين .

● صدور الحديث من راو تأييدا لمذهبه كالأحاديث الصادره من اتباع المذاهب الفقهية والكلامية المغالين فى تعصبهم مثل :

« من لا يرفع يديه فى الصلاة فلا صلاة له » أو يروى رافض حديثا ، فى فضائل أهل البيت أو مرجىء حديثا فى الأرجاء(٢) .

● أن يشتمل على افراط فى الثواب العظيم على العمل الصغير أو اشتماله على المبالغة بالوعيد الشديد على الأمر الحقير كالأحاديث التى وضعها القصاص فى ثواب بعض الأعمال ، وجزاء بعض الجرائم مثل « : من صلى الضحى كذا وكذا ركعة أعطى ثواب سبعين نبيا » ومثل :

« من قال لا اله الا الله خلق الله له طائرا له سبعون ألف لسان لكل لسان سبعون الف لغة يستغفرون له(٣) » .

● أن يتضمن الحديث أمرا من شأنه أن تتوفر الدواعى على نقله لوقوعه بمشهد عظيم ثم لا يشتهر ولا يرويه الا واحد ، بهذا : حكم أهل السنة بالوضع على الحديث المتضمن النص على خلافة على ووصايته ..

---

(١) صحيح مسلم شرح النووى ج ١ ص ١٠٠ ط الشعب .
(٢) السنة ومكانتها ص ١١٧ .
(٣) الموضوعات .

● ما يصرح بتكذيب جمع المتواتر(١) .

● واضافة الى هذه الأسس الرصينة والقواعد المحكمة : نقد العلماء المتن من ناحية اضطرابه أو شذوذه أو اعلاله ، كما بحثوا فيما فيه من قلب أو غلط أو ادراج ، الى غير ذلك من العلل التى عنى العلماء ببيانها وشرحها : فيما وضع فى ذلك من الكتب(٢) .

كما كان للذوق المؤمن مجاله فى النقد ، فاذا استساغت الملكات السليمة المؤمنة حديثا قبلوه ، واذا لم تستسغه ردوه وكان هذا الذوق متفقا مع قوانين الرواية كذلك ، يقول الربيع بن خيثم : « ان من الحديث حديثا له ضوء كضوء النهار تعرفه به ، وان من الحديث حديثا له ظلمة كظلمة الليل تعرفه بها(٣) » ويقول ابن الجوزى « الحديث المنكر يقشعر له جلد الطالب للعلم وينفر منه فى الغالب » .

وهكذا : وضع علماء الحديث القواعد الهامة التى عرفوا بها الحديث الصحيح من الموضوع ، ووجهوا جهودهم الى نقد السند والمتن على السواء .

هذا وقد بدأت حركة النقد منذ وقوع الفتنة ، وظلت حتى كان عصر التدوين ، ودون العلماء الحديث دون تمييز بين الصحيح وغيره ، وانما تركوا ذلك لأهل الخبرة من العلماء ، لهذا : تحرى

---

(١) المنهج الحديث فى علم الحديث للأستاذ : محمد محمد السماحى ص ١٨٧ .
(٢) المؤتمر الثالث لمجمع البحوث الاسلامية ١٣٨٦ هـ ١٩٦٦ م ص ٤٩
(٣) معرفة علوم الحديث للحاكم ص ٣٦ .

الامام : مالك رضى الله عنه فى كتاب (الموطأ) جمع الحديث المقبول ، حتى شهد له الكثيرون بالصحة والقبول ، وعندما كتب الامام الشافعى رضى الله عنه (كتاب الرسالة) تعرض لشىء من علوم الحديث ، كما كتب أيضا شيئا من ذلك فى كتاب (الأم) .

وقام العلماء كذلك بنقد الحديث ــ سندا ومتنا ــ خلال تأليفهم ، كما فى كتاب الترمذى ، وبعضهم خصص مقدمة فى هذا العلم تتعلق بالكتاب الذى يؤلفه . كما صنع الامام مسلم فى مقدمة كتابه . أو خاتمة توضح المصطلحات التى أرادوها : كما صنع الامام الترمذى فى آخر جامعه .

وعنى البعض بالرواة فألف البخارى فى الصحابة كتبه فى التواريخ الثلاثة : « الكبير والأوسط والصغير » ، وعنى فيها بنقد المرويات من حيث : السند والمتن ، وألف غيره فى تواريخ الرواة صحابة أو غيرهم : كالامام محمد بن سعد كاتب الواقدى المتوفى سنة ٢٣٠هـ ، ألف كتاب الطبقات . كما أن بعضهم ألف فى الثقات : كأبى حاتم بن حبان المتوفى سنة ٣٥٤هـ ، ألف كتاب الطبقات ، كما أنه خصصت تآليف فى الضعفاء والعلل ، ككتاب الضعفاء للبخارى صاحب الصحيح .

وهكذا : رأى العلماء : أن هذه الكتب قد تضمنت اصطلاحات خاصة لأهل الحديث ، وقواعد كثيرة لهم ، يعرف بها المقبول والمردود ، ففكروا فى تخليصها من هذه الكتب ، وجمعها فى علم

خاص ، وتدوينها فى كتاب مستقل . وكان ذلك فى القرن الرابع وكان أول من ألف فيه الرامهرمزى(١) .

ومن النتائج الجليلة القدر التى عادت على الاسلام والمسلمين من هــذه الجهود الضــخمة الموفقة : أن تم تدوين السنة بعد أن سار أشواطه المباركة وانتهى الأمر بالتدوين التـام ، والتصنيف الكامل ، فى القرن الثالث الهجرى ، الذى كان أسعد عصور السنة الشريفة بظهور أئمة الحديث ، وقيامهم بتلك التآليف الخالدة ، وتمييز الأحاديث الصحيحة من غيرها .



(١) المنهج الحديث الأستاذ محمد السماحى ص ٢٠ .

الفصل الخامس

الرّد على المطاعن التي أُثيرت حديثًا

● الرد على المطاعن التى أُثيرت حديثاً

لقد حفظ الله تعالى دينه بحفظ الأصلين الكريمين ، والمصدرين الشريفين : الكتاب والسنة ، وتكفل الله تعالى بحفظ القرآن الكريم وحفظه فعلا حيث قال سبحانه :

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (١)

كما حفظ المصدر الثانى للتشريع الاسلامى حيث قال تعالى :

﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ۝ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ۝ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾ (٢)

فقد تكفل سبحانه بحفظ بيان القرآن حيث تكفل بحفظ القرآن لأن حفظ المبين يستلزم حفظ البيان ، ليظل القرآن واضحا مفهوما يعمل به الناس الى يوم الدين ، وتكفل بأن جعل بيان القرآن على الله تعالى : **« ثم ان علينا بيانه »** ولذا قيض الله للسنة النبوية رجالا أمناء صانوا السنة النبوية من تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين .

---

(١) سورة الحجر آية ٩

(٢) سورة القيامة آية ١٧

وقد واجهت الاسلام تحديات متعددة ، وحملات ظالمة شنها المبطلون على القرآن أولا ، فباءوا بالخزى والخذلان لأن الله تعالى قد تكفل بحفظه ، فحفظه الرجال الثقات والأئمة الأمناء الحفاظ فى صدورهم الأمينة وفى صحفهم الواعية الضابطة ، فلما رأوا أنهم لا حيلة لهم فى النيل من القرآن الكريم اتجهوا الى النيل من السنة فحاولوا الدس والتحـــريف فيها ، كما حاولوا الكذب والوضــــع وحاول بعضهم شرح الحديث بغير ما هو مراد منه محاولين اخضاع النص لهواهم .

فقيض الله تعالى للسنـــة النبوية من ميــزوا صحيحها من سقيمها ، ومن حفظوها فى صدورهم الأمينة ، وصحفهم الضابطة المتقنة ودونوها على أوجه متعددة منها ما دون على حسب الرواة ، ومنها ما دون تدوينا فقهيا ، ورتب ترتيبــا موضوعيا وقاموا الى جانب تدوينها وترتيبها بشرحها شرحا ييسر المراد منها حتى لاينحرف البعض فى شرحها تأييدا لهواه .

وابتكروا علما بل علوما فى أصول الحديث النبوى وقواعده وشروط الصحيح ومعرفة الثقاة ، ومعرفة الضعفاء والمتروكين ، ووضعوا علامات للوضع منها ما هو فى السند ومنها ما هو فى متن الحديث ، بحيث لم يدعوا ثغرة ينفذ منها الوضاعون ومن يحاول الدس أو الكذب .

وبعد أن فشل أعداء الاســـلام فى النيـــل من القرآن ، ومن الحديث ولوا وجوههم نحو حملة الاســـلام وشهود هذا الدين ،

ومن انتقل على أيديهم الاسلام وتراثه وهم صحابة رســول الله صلى الله عليه وسلم ثم العلماء جيلا بعد جيل ، لأن هؤلاء هم حملة الدين ، ونقلة تراثه والدعاة اليه ورموزه فاذا ما تم التشكيك فيهم أصابوا الاسلام فى مقتل ، لانهم اذا نجحوا فى التشكيك فى حملة الاسلام نفسه . نجحوا فى التشكيك فى الاسلام نفسه .

ومن هنا كانت الحملات المســعورة ضــد التاريخ الاسلامى والتراث القديم ، ومحاولة فصله عن المسلمين ، ومحاولة تزييف وقائعه والدس فيها والتحريف رغبة فى فصل الأمة عن تراثها ، وهى حملة خبيثة وظالمة تستهدف قطع الأمة الاسلامية وأبعادها عن تاريخها وأمجادها ، فتصبح وكأنها امة لا تاريخ لها ولا امجاد لها مثل اللقيطة التى لا يعرف لها نسب .

ثم طفت على سطح الحياة تيارات أخرى ، تحاول فصــل الدين عن الحياة ، وتبعده عن الدخول فى مجالات الحياة وحضاراتها وعملها وسائر انشطتها ، وتريد أن يقتصر الدين على المسجد فقط وهى التى تسمى « بالعلمانية » مع أن الاسلام دين ودنيا ، ايمان وعمل ، ولا يمكن أن يفصل عن الحياة بحال من الأحوال فى كل عباداته ومعاملاته وسائر أحكامه وتوجيهاته .

ثم ان التحديات التى تريد تزييف تاريخ الأمــه وفصــلها عنه ، والنيل من القرآن ومن الحديث أخذت منهجا رأى أصحابه أنه أيسر للنيل من الاسلام ، وذلك عن طريق حملة الاسلام وشهوده وهم الصحابة رضوان الله تعالى عليهم فمن بعدهم جيلا بعد جيل حتى علماء عصرنا الحاضر .. وقد اخذ الهجوم على حملة الاسلام

شكلا عجيبا حيث قام أعداء هذا الدين بتجريح الصحابة رضى الله عنهم أجمعين ونفى عدالتهم والصاق تهم بهم هم منها براء .

وللرد على هذه الحملات الظالمة ، نثبت هنا أن الصحابة رضوان الله عليهم عدول كلهم على رأى جمهور المحدثين والفقهاء والأصوليين ، والمراد بعدالة العدل : أن يكون مسلما بالغا خاليا من أسباب الفسق وخوارم المروءة ، فهم أبعد ما يكون عن التقول على الرسول صلى الله عليه وسلم ، لقوة ايمانهم والتزام التقوى والمروءة والسمو عن سفاسف الأمور .

وعدالة الصحابة ثابتة بالقرآن والسنة :

اولا : لاخبار الله تعالى بأنهم خير الأمم واوسط الأمم وأزكاها قال تعالى :

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾[1]

ومعنى الوسط : العدول . وقال سبحانه .

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾[2]

والخطاب فى هاتين الآيتين للأمة الاسلامية ويدخل الصحابة فى هذا الخطاب دخولا أوليا .

---

(١) البقرة (١٤٣) .

(٢) آل عمران (١١٠) .

وقال سبحانه :

﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ ﴾(١)

ومن رضى الله عنه لم يسخط عليه أبدا وقال تعالى :

○ ـــــــــــــــــ ﴿ مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ ﴾(٢)

وهكذا نرى الى أى مدى وضح القرآن الكريم عدالة الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين واخلاصهم ، وسمو أخلاقهم .

ثانيا : وضحت السنة الصحيحة عدالة الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين ، ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تقديرهم واعطائهم حقوقهم من الاحترام وعدم ايذائهم فقال صلى الله عليه وسلم : لا تسبوا أصحابى فوالذى نفسى بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه(٣) » .
وعن عبد الله بن مغفل قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الله الله فى أصحابى لا تتخذوهم غرضا من بعدى من

---

(١) التوبة (١٠) .
(٢) الفتح (٢٩) .
(٣) رواه البخارى ومسلم .

أحبهم فقد أحبنى ومن ابغضهم فقد ابغضنى ومن آذاهم فقد آذانى ومن أذانى فقد أذى الله فيوشك أن يأخذه(١) » .

وقال عليه الصلاةوالسلام : « خيرُ الناس قرنى ثم الذين يلونهم(٢) » .

ثالثا : يقول الامام أبو زرعة الرازى اذا رأيت الرجل ينتقص اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعلم أنه زنديق ، وذلك لأن الرسول حق والقرآن حق ، وما جاء به حق ، وانما أدى ذلك الينا كله الصحابة وهؤلاء — يريد الزنادقة وأشباههم — يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة ، والجرح بهم أولى وهم زنادقة وهكذا يوقفنا القرآن الكريم والسنة الصحيحة وقول سلفنا فى صحابة الرســـول صلى الله عليه وسلم على مكانتهم ومنزلتهم فى الاسلام وأن النيل منهم وتجريحهم بهتان وعدوان صارخ على الاسلام نفسه لأنهم حملته وعن طريقهم انتقل الينا القرآن والحديث والاسلام بعقيدته وعباداته ومعاملاته .

ومع وضوح ثبوت السنة الصحيحة ، فان الحملات تتجدد حديثا عليها ، متمثلة فى تحديات لها جملة ، وفى تحديات أخـــرى لبعض ما جاءت به .

وسأعرض هنا لبعض تلك التحديات التى نشرت فى بعض الصحف لطائفة برزت من جديد فى هذه الأيام تنكر السنة جملة ، وتنكر بعض ما جاء فيها أحيانا .

وسأورد الرد عليهم فيما يلى :

---

(١) رواه الترمذى .
(٢) رواه البخارى ومسلم .

أهم الشبهات التى أثارتها
جماعة إنكار السنة
كما وردت فى بعض الصحف

* انكار السنة النبوية ، ويزعمون الأخذ بالقرآن وحده .
* ادعاء أن الحديث مختلف فيه .
* ادعاء اختلاف الأئمـــة .
* انكار الايمان بالغيب .
* الهجوم على الصحابة رضوان الله تعالى عليهم .
* القول بخلود المسلم العاصى فى النار .
* انكار الأحاديث القدسية .
* انكار الشـــفاعة .
* دعوى الاختلاف فى التشهد والقول بقراءة آية الكرسى بدله .
* القول بأن عمر رضى الله عنه منع من كتابة الحديث .
* القول بانكار المعراج ورؤية الله تعالى .

الرد على مفتريات
المكذبين للسنة النبوية

ان الذى ظهرت به هذه الطائفة متبعة فى ضلالها وافتراءاتها من ضللها ، انما هى دعاوى قديمة دعا بها وأثارها قبلهم أناس لا دين لهم ، ولا علم لهم ، وسموا أنفسهم « بالقرآنيين » لأنهم دعوا الى الاكتفاء بالقرآن الكريم وحده .. وهؤلاء الذين ظهروا اليوم هم امتداد لأسلافهم من الجهلة وأذناب الالحـــاد وابواق المستشرقين فان تكذيبهم للسنة النبوية هو فى نفسه تكذيب للقرآن الكريم ذاته ، لأن القرآن الكريم أمر ان نأخذ بالسنة وان نأخذ ما آتانا به الرسول صلى الله عليه وسلم وأن ننتهى عما نهانا عنه قال تعالى :

﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ (١)

وجعل القرآن الكريم طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم طاعة لله فقال سبحانه :

---

(١) سورة الحشر آية ٧

○ ———— ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾﴾ (١)

بل ان القرآن الـذى يزعمون أنهم يأخذون به وحده دون سواه ، ولا يأخذون بالسنة ، قد نفى الايمان عمن لم يأخذ بالحديث ويرفض طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم وذلك فى قول الله تعـالى :

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ (٢)

فكل من يرفض السنة ويرفض الأخذ بها ويرفض طاعة صاحب السنة صلى الله عليه وسـلم خارج عن حظيرة الايمان « **فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم** » .

وهكذا يأمر القرآن بالأخذ بالحديث ، فكيف يقولون : انهم ياخذون بالقرآن وحده وهم يخالفون القرآن نفسه مخالفة صريحة واضحة ؟ !!

---

(١) سورة النساء (٨٠) .
(٢) سورة النساء (٦٥) .

● وأما ادعاؤهم أن الحديث مختلف فيه ؟

فان هذا مردود بما اضطلع به أئمة الحديث من عناية فائقة بتنقية السنة من كل دخيل ، وعنايتهم بالسند وتنقيح الروايات والمرويات والأخبار وأن الاسناد الصحيح المتصل من خصوصيات هذه الأمة ، وأن أئمة الحديث ميزوا الصحيح من غيره ، ودونوه فى كتب معروفة معتمده .

● **وأما اختلاف الأئمة :**

فانه لا يشك أحد أن جميع الأئمة متفقون اتفاقا يقينيا على وجوب اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ، وعلى أن كل انسان يؤخذ من رأيه ويترك الا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكن — كما قال ابن تيمية :

اذا وجد لواحد منهم قول قد جاء حديث صحيح بخلافه فلابد له من عذر فى تركه ، وجميع الأعذار ثلاثة أصناف .

أحدها : عدم اعتقاده أن النبى صلى الله عليه وسلم قاله .

والثانى : عدم اعتقاده ارادة تلك المسألة بذلك القول .

والثالث : اعتقاده أن ذلك الحكم منسوخ(١) .

هذا وانكارهم للسنة النبوية وللغيب وقد نص عليه القرآن الكريم أيضا .

﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ (٢)

---

(١) رفع الملام عن الأئمة الاعلام لابن تيمية ص ٤

(٢) سورة البقرة آية ٣ .

انكارهم لهذا وللسنة انكار لأمور معلومة من الدين بالضرورة، ومن أنكر أمرا معلوما من الدين بالضرورة كان مرتدا ان اصر على رأيه ولم يتب ولم يرجع الى الله تعالى .

وأما مهاجمتهم للصحابة رضى الله عنهم ، فهذا تمرد منهم على دين الله وعلى نقلة الدين وشهوده الذين شهدت بعدالتهم آيات القرآن قال تعالى :

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ (١)

والوسط : الخيار والعدول وقال تعالى :

﴿ وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ﴾ (٢)

وقال عليه الصلاة والسلام : « خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجىء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته » رواه البخارى وجاء فى الصحيحين : « لا تسبوا أصحابى فوالذى نفسى بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما أدرك من احدهم ولا نصيفه » وفيما رواه الترمذى وابن ماجة وابن حبان فى صحيحه : يقول الرسول صلى الله عليه وسلم « الله الله فى أصحابى لا تتخذوهم غرضا فمن أحبهم فبحبى أحبهم ومن أبغضهم فببغضى ابغضهم ومن آذاهم فقد آذانى ومن أذانى فقد أذى الله ومن أذى الله فيوشك أن يأخذه » .

---

(١) سورة البقرة آية ١٤٣

(٢) سورة التوبة آية ١٠٠

الرد على شبهة
خلود المسلم العاصى فى النار

للرد على هذه الشبهة نذكر لهم قول الله تعالى :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ ﴾ (١)

وقوله عليه الصلاة والسلام : « لكل نبى دعوة مستجابة فتعجل كل نبى دعوته ، وانى اختبأت دعوتى شفاعة لأمتى يوم القيامة فهى نائلة ان شاء الله من مات من أمتى لا يشرك بالله شيئا»

رواه مسلم

ومذهب أهل الحق أن كل من مات غير مشرك بالله تعالى لا يخلد فى النار وان كان مصرا على الكبائر .

وهؤلاء الذين يقولون بخلود المسلم العاصى فى النار انما يتبعون فى ذلك ما قاله الخوارج وبعض المعتزلة الذين تعللوا بظاهر الآية الكريمة :

---

(١) سورة النساء آية ٤٨

﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ (١)

وبمثل قوله تعالى :

﴿ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ ﴾ (٢)

وهذه الآية وتلك انما هما فى شأن الكفار وليس فى شأن المسلمين ، وبنوا ذلك على انكارهم للشفاعة وهى ثابتة بالكتاب والسنة الصحيحة .

واذا كانوا يصدقون حقا بالقرآن ، فانه يقول :

○ ——— ﴿ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ (٣)

ويقول سبحانه :

○ ——— ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ ﴾ (٤)

---

(١) سورة المدثر آية ٤٨
(٢) سورة غافر آية ١٨
(٣) سورة الزمر آية ٥٣
(٤) سورة النساء آية ٤٨

شبهة إنكارهم للأحاديث القدسية

واما انكارهم للأحاديث القدسـية فهو مبنى على انكارهم للسنة النبوية لأن الأحاديث القدسية ثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ربه سبحانه وتعالى أى انه عليه الصلاة والسلام أخذها عن ربه وبلغها لأمته ، ومعناها من عند الله تعالى، فقد أضافها الرسول صلى الله عليه وسلم الى ربه ، ورواها عنه كما تروى الأحاديث وللعلماء فى الأحاديث القدسية رايان :

الأول : أنها من كلام الله تعالى وليس للنبى صلى الله عليه وسلم الا حكايتها عن ربه ، والثانى : أنها من قوله صلى الله عليه وسلم ولفظه كالأحاديث النبوية ، والمعنى من عند الله بالهام أو بمنام ، وهذا الرأى الثانى هو الأرجح ، اذ لم ينزل باللفظ من قبل الله تعالى الا القرآن الكريم لتميزه عن بقية أنواع الوحى بأنه معجز من أوجه كثيرة منها اعجازه اللفظى والبيانى .

ومعنى الأحاديث القدسية مقطوع بأنه من عند الله تعالى ، لما ورد فيه من النص الشرعى على نسبته الى الله تعالى ، بقول

الرسول صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى : كذا .. فلذا سمى قدسـيا .

وللأحاديث القدسية صحة نسبتها الى الله تعالى ورواية الرسول صلىالله عليه وسلم لها وأسانيدها الى الرسول صلى الله عليه وسلم وقد بحث العلماء صحة نسبة الصحيح منها وتمييزه عن غيره من الضعيف بدراسة الأسانيد والمتون ، وحدث فيها ما حدث من العناية بالحديث النبوى ، بل انها دونت مع الأحاديث النبوية لأن الرسول صلى الله عليه وسلم يرويها عن ربه والصـحابة يروونها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهكذا .. فجهود العلماء فى الحفاظ على الأحاديث القدسية هى جهودهم نفسها فى الحفاظ على الأحاديث النبوية ودونت معها لأنها مروية عنه صلى الله عليه وسلم وهو عليه الصلاة والسلام رواها عن ربه فحظيت بعناية المحدثين والعلماء وجهودهم جيلا بعد جيل حتى جاءت فى المدونات والكتب المعتمدة بأسانيدها التى لا يرقى اليها الشـك بحال من الأحوال .

وانكارها ضرب من العبث ، وانكار لما صح وثبت بأدق طرق النقل التى لا تعرف الدنيا لها مثيلا .



شبهة إنكار الشفاعة
للرسول صلى الله عليه وسلم
والرد عليها

•

ان الذين أنكروا السنة يزعمون أيضا انكار الشفاعة وانها ثابتة لله وحده فقط .

الاجــابة

قال الله تعالى : ((**من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه(١)**)) ، أى لا احد يستطيع أن يشفع لأحد الا اذا أذن له الله ، وهذا بيان لعظمة الله تعالى بحيث لا يتجاسر احد على الشفاعة الا باذن الله تعالى.

وقال الله تعالى :

﴿ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ﴾(٢)

---

(١) سورة البقرة آية ٢٥٥
(٢) سورة النجم آية ٢٦

وقال سبحانه :

﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾ (١)

وان الملائكة الأبرار مع علو منزلتهم ورفعة شأنهم لا تنفع شفاعتهم أحدا الا باذن الله تعالى فى الشفاعة لمن يشاء من اهل الايمان والتوحيد وفرق كبير جدا بين أن تكون الشفاعة باذن الله تعالى وبين زعمهم انها لا تكون الا لله وحده وليس لأحد شفاعة.

ومذهب أهل السنة : جواز الشفاعة عقلا ووجوبها سمعا بصريح قوله تعالى :

﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ ﴾ (٢)

وقد بلغت الآثار التواتر بصحة الشفاعة فى الآخرة لمذنبى المؤمنين وأجمع السلف والخلف ومن بعدهم من أهل السنة عليها .

وهؤلاء المنكرون للسنة الذين قالوا بتلك الشبهات انما ينحون منحى الخوارج وبعض المعتزلة الذين تعلقوا بمذاهبهم فى تخليد المذنبين فى النار واحتجاجهم بقوله تعالى :

﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ (٣)

---

(١) سورة الأنبياء آية ٢٨
(٢) سورة طه آية ١٠٩ .
(٣) سورة المدثر آية ٤٨

وبمثل قوله تعالى :

﴿ مَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ ﴾ (١)

وهذه الآيات انما هى فى الكفار .

كما انهم تأولوا أحاديث الشفاعة بكونها فى زيادة الدرجات وهذا باطل ، والأحاديث صريحة فى بطلان مذهبهم .

وقد ثبتت شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم ، عن انس بن مالك رضى الله عنه قال : **قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((انا أول الناس يشفع فى الجنة وانا اكثر الانبياء تبعا(٢))).**

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **(لكل نبى دعوة مستجابة فتعجل كل نبى دعوته وانى اختبات دعوتى شفاعة لأمتى يوم القيامة فهى نائلة ان شاء الله من مات من أمتى لا يشرك بالله شيئا(٣)) .**

---

(١) سورة غافر آية ١٨
(٢) رواه مسلم .
(٣) رواه مسلم .

الرد على الدعوة بأن التشهد مختلف في صيغته وأنهم يأتون بآية الكرسى

ان التشهد فى الصلاة ورد بعدة صيغ ليس بينها اختلاف فى المقصود وانما جاء بعدة صيغ ،لأنها وقائع متفرقة وقال فيها الرسول صلى الله عليه وسلم التشهد فى أوقات متفاوتة تلك الألفاظ المتغايرة ليوضح للأمة أن التشهد بأية صيغة من تلك الصيغ جائز، فابن مسعود رضى الله عنه وهو من السابقين سمع أولا .

وابن عباس وهو من مهاجرة الفتح سمع بعد ذلك وهكذا . يقول ابن قدامة الحنبلى فى كتاب « المغنى » :

« .. وبأى تشهد تشهد مما صح عن النبى صلى الله عليه وسلم جائز ، نص عليه احمد فقال : تشهد عبد الله اعجب الى وان تشهد بغيره فهو جائز لأن النبى صلى الله عليه وسلم لما علمه الصحابة مختلفا دل على جواز الجمع كالقراءات المختلفة التى اشتمل عليها المصحف(1) » .

---

(1) المغنى والشرح الكبير جـ ١ ص ٥٧٩ .

واختلف الائمة فى ترجيح بعضها على بعض والجمهور ومنهم الحنفية والحنابلة أخذوا بتشهد ابن مسعود ، وأخذ الشافعية بتشهد ابن عباس ، والمالكية بتشهد عمر .

وقال الترمذى : حديث ابن مسعود روى من غير وجه وهو أصح حديث فى التشهد والعمل عليه عند أكثر أهل العلم من الصحابة ومن بعدهم . وسئل الشافعى عن اختياره تشهد ابن عباس فقال: لما رأيته واسعا وسمعته عن ابن عباس صحيحا كان عندى أجمع وأكثر لفظا من غيره وأخذت به غير معنف لمن يأخذه بغيره مما صح .

والخلاف بين الروايات هين ويسير فتشهد ابن مسعود بلفظ « التحيات لله والصلوات والطيبات » وتشهد ابن عباس بلفظ « التحيات المباركات الصلوات الطيبات لله » وباقيه كتشهد ابن مسعود ، وتشهد عمر بلفظ « التحيات لله الزاكيات لله الصلوات لله الطيبات لله » وبقية الصيغ لا تخرج عن ذلك .

وبعض روايات التشهد قد تجىء بزيادة كلمة من صدر التشهد أو نقصان كلمة أو ذكر كلمة « لله » « عقب كل منها أو فى أولها أو آخرها وكل هذا جائز شرعا ولغة ولا شىء .. فعلام رد التشهد والاتيان بآية الكرسى ولا يوجد أى دليل من قول أو فعل يقول باستبدال التشهد أو بالقول بقراءة آية الكرسى ، فكيف يعدل صاحب هذه الشبهة عن الأحاديث الصحيحة الصريحة التى تنص على التشهد ، انه لا يبتغى من وراء هذه الضجة المفتعلة الا أن يشوش على السنة ويثير حولها الشبهات .

الرد على شبهة ان عمر رضى الله عنه منع من كتابة الأحاديث

واما دعواهم: أن عمر بن الخطاب رضىالله عنه منع من كتابة الأحاديث ؟ فليس هذا المنع على اطلاقه ، وليس المراد من المنع عدم كتابة السنة دائما ومطلقا أو لأنه لا يريد الأخذ بها كما زعم أصحاب هذه الدعاوى والشبهات زورا وبهتانا .

وانما كان الفاروق عمر رضى الله عنه قد هم بكتابة الأحاديث وتقييدها بالفعل ، واستشار الصحابة رضوان الله تعالى عليهم فأشاروا عليه بكتابتها ، وطفق يستخير الله فى ذلك مدة ولكن الله لم يرد له ، روى البيهقى فى المدخل ، عن عروة بن الزبير أن عمر ابن الخطاب رضى الله عنه أراد أن يكتب السنن ، فاستشار فىذلك أصحاب رسول الله صلى لداله عيه وسلم، فأشاروا عليه،فطفقعمر يستخير الله فيها شهرا ، ثم أصبح وقد عزم الله له فقال : انى كنت أردت ان أكتب السنن ، وانى ذكرت قوما كانوا قبلكم كتبوا كتبا فأكبوا عليها وتركوا كتاب الله ، وانى والله لا البس كتاب الله بشىء أبدا .

فهو قد هم بكتابة الأحاديث فى بادىء الأمر ، ولكنه لمـــا ذكر قوما كانوا من قبل كتبوا كتبا فأكبوا عليها وانشـــغلوا بها وتركوا كتاب ربهم ، فهو يخشى أن يتشاغل الناس عن كتاب ربهم وهو الحريص على أن يأخذ القرآن الكريم وضعه فى القلوب ، وذلك فى أول الأمر ، وحتى لا يلتبس القرآن بالحديث ، لو دون الحـــديث تدوينا رسميا ، وحتى تتوفر الهمم لحفظ كتاب الله سبحانه وتعالى، ولذلك قال : « **وانى والله لا ألبس كتاب الله بشىء أبدا** » .

واستمر الحال على ذلك ، وكان بعض الصحابة يكتب باذن خاص من الرسول صلى الله عليه وسلم ، والبعض لا يكتب الى أن كان عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ، فرأى أن يدون الحديث مخافة أن يضيع منه شىء ، وذلك على رأس المائة الاولى .

الرد على انكار المعراج ورؤية الله تعالى

لقد ذكر القرآن الكريم المعراج فى سورة النجم فى قوله تعالى :

﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسۡتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ ﴿١٠﴾

﴿ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾
وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾
عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾
مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ
ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾ ﴾ (١)

وقد اختلف السلف والخلف فى رؤية الرسول صلى الله عليه وسلم ربه ليلة الاسراء والمعراج .

١ ـ فأنكرته عائشة رضى الله عنها وجماعة وهو المشهور عن ابن مسعود واليه ذهب جماعة من المحدثين والمتكلمين .

٢ ـ وروى عن ابن عباس أنه رآه بعينه ، وروى مثله عن ابى ذر وكعب رضى الله عنهما والحسن رحمه الله وكان يحلف على ذلك ، وحكى مثله عن ابن مسعود وأبى هريرة وأحمد بن حنبل وحكى عن أبى الحسن الأشعرى وجماعة من أصحابه أنه رآه .

٣ ـ ووقف البعض فى هذا الموضوع وقال : ليس عليه دليل واضح ولكنه جائز ، ورؤية الله تعالى فى الدنيا جائزة ، وسؤال موسى اياها دليل على جوازها ، اذ لا يجهل نبى ما يجوز أو يمتنع على ربه .

---

(١) سورة النجم (١ ـ ١٨) .

واما المراد بقوله تعالى : « **ثم دنا فتدلى** » فمن العلماء من يرى أن هذا الدنو والتدلى منقسم ما بين جبريل والنبى صلى الله عليه وسلم او مختص بأحدهما . وذكر ابن عباس والحسن ومحمد ابن كعب وجعفر بن محمد وغيرهم أنه دنو من النبى صلى الله عليه وسلم الى ربه سبحانه وتعالى ، او منّ الله تعالى ، وعلى هذا القول يكون الدنو والتدلى متأولا ليس على وجهه بل لا حد له ومن الأدلة على رؤية الرسول صلى الله عليه وسلم لربه سبحانه وتعالى : حديث ابن عباس رضى الله عنهما « **أتعجبون أن تكون الخلة لابراهيم والكلام لموسى والرؤية لمحمد صلى الله عليه وسلم** »، وكان الحسن يحلف لقد رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه .

وأما حديث عائشة الذى يفيد عدم الرؤية ، فان عائشة رضى الله عنها لم تخبر أنها سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : لم أر ربى ، وانما ذكرت ما ذكرت متأولة لقول الله تعالى :

﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا ﴾ (١)

ولقوله تعالى :

﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ ﴾ (٢)

---

(١) سورة الشورى آية ٥١
(٢) سورة الأنعام آية ١٠٣

والصحابى اذا قال قولا وخالفه غيره منهم لم يكن قوله حجة، واذا صحت الروايات عن ابن عباس فى اثبات الرؤية وجب المصير الى اثباتها .

ثم ان ابن عباس أثبت شيئا نفاه الغير ، والمثبت مقدم على النافى . والراجح عند أكثر العلماء أن الرسول صلى الله عليه وسلم رأى ربه ليلة الاسراء والمعراج ، لما روى عن ابن عباس وغيره وهم لا يأخذون الا بالسماع من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأما قول السيدة عائشة رضى الله عنها فانها لم تنف الرؤية بحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولو كان معها حديث لذكرته ، وانما اعتمدت الاستنباط من الآيات . فالمعراج ثابت ، ورؤية الرسول صلى الله عليه وسلم لربه سبحانه وتعالى ثابتة. وعن أبى ذر رضى الله عنه قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل رأيت ربك ؟ قال : « **نور أنى أراه(١)** » .

وعن أبى موسى قال : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس كلمات فقال : « ان الله عز وجل لا ينام ولا ينبغى له أن ينام يخفض القسط ويرفعه يرفع اليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل حجابه النور ، وفى رواية أبى بكر النار لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه(٢) » .

وأما رؤية المؤمنين لله سبحانه وتعالى فى الآخرة :

---

(١) رواه مسلم .
(٢) رواه مسلم . وسبحات وجه الله تعالى : هى أنواره .

١ ـــ فان مذهب اهل السنة جميعا أنهـــا ممـــكنة فى الآخرة ومجمعون على وقوعها فى الآخرة وأن المؤمنين يرون ربهم فى الآخرة ، دون الكافرين .

٢ ـــ وزعمت طائفة من أهل البـــدع من المعتزلة والخوارج وبعض المرجئة أن الله تعالى لا يراه أحد من خلقه .

والأدلة من القرآن والسنة واجماع الصحابة على رؤية الله فى الآخرة للمؤمنين كثيرة : قال الله تعالى :

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ (١)

وقال سبحانه :

﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ (٢)

وعن صهيب عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « اذا دخل أهل الجنة الجنة) قال : يقول الله تبارك وتعالى : تريدون شيئا أزيدكم ؟ فيقولون ألم تبيض وجوهنا ؟ ألم تدخلنا الجنـــة وتنجنا من النار ؟ قال : فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئا أحب اليهم من النظر الى ربهم عز وجل(٣) » .

وعن عطاء بن يزيد الليثى أن أبا هريرة أخبره أن ناسا قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله هل نرى ربنـــا

---

(١) سورة القيامة آية ٢٣
(٢) سورة يونس آية ٢٦
(٣) رواه مسـلم .

يوم القيامة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ؟ قالوا : لا يا رسول الله ، قال : هل تضارون فى الشمس ليس دونها سحاب ؟ قالوا : لا يا رسول الله قال : فانكم ترونه كذلك(١) » .

وبهذا يتبين أن ما قاله المنكرون للمعراج لا أساس له من الصحة فان الصحابة الذين رووا حديث الاسراء والمعراج وصلوا الى خمسة وعشرين صحابيا والروايات فيه متواترة ، وأخرج حديث المعراج البخارى ومسلم وغيرهما من أصحاب الكتب المعتمدة . ورجوع الرسول صلى الله عليه وسلم الى ربه لطلب التخفيف لا يقدح فى صحته بل هو لاظهار رحمة الله بالأمة ولاظهار مكانة الرسول صلى الله عليه وسلم بقبول شفاعته فى التخفيف عن أمته ، وبيان رأفته، وفى المراجعة تكرير المناجاة بين المحب والمحبوب وبين العبد والمعبود .



(١) رواه مسلم .

مناقشة منكرى السنة

وجملة القول أن من ينكر السنة النبوية الصحيحة ويرفض الأخذ بها فهو متمرد على القرآن الكريم نفســـه ، ومنكر لأوامره ، التى جاءت تأمر بالأخذ بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ثم نسأل أولئك المنكرين .

أنى لنا معرفة كيفية الصلاة ، وعدد ركعاتها لولا الســـنة النبوية الشارحة للقرآن الكريم المفصلة لمجمله ، والمقيدة لمطلقه ، والمخصصة لعامه ؟ !

وأنى لنا معرفة الحج وأحكامه وأنصبة الزكاة الى غير ذلك من الأحكام ؟ ان القرآن الكريم جاء بالأصول والقواعد العامة الكلية وان الحديث النبوى فصل وفسر وشرح ووضح . والآية القرآنية الكريمة وهى قوله تعالى :

﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾(١)

---

(١) سورة الحشر آية ٧

هى الأصل لكل ما جاء به الحديث الصحيح ، والسنة المطهرة مما لم يرد ذكره فى القرآن ، روى عن الامام الشافعى رحمه الله تعالى أنه كان جالسا فى المسجد الحرام يحدث الناس فقال : لا تسألونى عن شىء الا اجبتكم فيه من كتاب الله فقال رجل : ما تقول فى المحرم اذا قتل « الزنبور » ؟ أى « الدبور » وهو ذكر النحل ، فقال : لا شىء عليه ، فقال الرجل : اين هذا من كتاب الله ؟

فقال : « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ».

ثم ذكر اسنادا الى (سيدنا) عمر رضى الله عنه ، انه قال : « للمحرم قتل الزنبور » .

وهكذا نرى وجوب الأخذ بالسنة النبوية وأن منكرها ومنكر ما جاءت به منكر لأمر معلوم من الدين بالضرورة .

وعن المقدام بن معد يكرب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (الا اننى أوتيت الكتاب ومثله معه ، الا يوشك رجل شبعان متكىء على أريكته يقول : عليكم بالقرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه ، الا لا يحل لكم الحمار الأهلى ، ولا كل ذى ناب من السباع ولا لقطة معاهد ، الا أن يستغنى عنها صاحبها ومن نزل بقوم فعليهم أن يقروه ، فان لم يقروه فعلية أن يعقبهم(١) بمثل قراه(٢)) .

---

(١) أى أن يأخذ منهم بقدر قراه من أموالهم .
(٢) رواه أبو داود .

يقول الامام الخطابى : قوله (أوتيت الكتاب ومثله معــه) يحتمل وجهين :

احدهما : أن معناه أنه أوتى من الوحى الباطن غير المتلو مثل ما أعطى من الظاهر المتلو .

الثانى : أنه أوتى الكتاب وحيا يتلى ، وأوتى من البيان مثله، أى اذن له أن يبين ما فى الكتاب فيعم ويخص ويزيد عليه ويشرح ما فى الكتاب فيكون فى وجوب العمل به ولزوم قبوله كالظاهر المتلو من القرآن . ومعنى قوله صلى الله عليه وســلم فى الحــديث : « يوشك رجل شبعان متكىء على أريكته » أنه رجل من المترفين أهل الترف والدعة الذين لزموا بيوتهم ولم يرحلوا فى طلب العلم ، ولم يطلبوه من اهله ولا من مظانه .

وهذا الحديث يعتبر معجزة من معجزات رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد حدث ما تنبأ به ، وأخــبر عنه وظهرت منهم فئة قديما ، وظهرت أخرى حديثا تدعو بهذه الدعوة الظالمة منادية بالاقتصار على القرآن الكريم وترك الحديث النبوى وهم بهذه الدعوة يحاولون ضرب الاسلام والاتيان عليه من القواعد ، فاذا تركت السنة النبوية استعجم القرآن ولم يعد مشــروحا مفصــــلا .

ولذا يؤكد الرســول صلوات الله وسلامه عليه الحرص على حديثه وسنته وسنة الخلفاء الراشدين من بعده فيقول صلوات الله

وسلامه عليه : « **عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ(١)** » .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم خطب فى حجة الوداع فقال : « ان الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم ولكن رضى أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أمركم فاحذروا ، انى تركت فيكم ما ان اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا كتاب الله وسنة نبيه(٢) » .

وأما الحديث الذى حاول بعض القائلين بالاكتفاء بالقرآن أن يستدلوا به والذى يعتبر مستند القائلين بعدم استقلال السنة النبوية بالتشريع فهو :

« اذا جاءكم عنى حديث فاعرضوه على كتاب الله فما وافق فخذوه وما خالف فاتركوه » .

وقد وضح أئمة الحديث أنه موضوع مختلق لم يقله الرسول صلى الله عليه وسلم .

وقد وضعته الزنادقة ليصلوا الى ما يريدون من اهمال الأحاديث ، وعارض هذا الخبر بعض الأئمة فقالوا : عرضنا هذا

---

(١) رواه أبو داود والترمذى وقال حديث حسن صحيح .
(٢) رواه الحاكم وروى مثله مالك فى الموطأ .

الحديث الموضوع على كتاب الله فوجدناه مخالفا له ، لأنا وجدنا في كتاب الله :

﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٧ ﴾ (١)

ووجدنا فيه :

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ (٢)

ووجدنا فيه :

﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ (٣)



---

(١) سورة الحشر آية ٧
(٢) سورة آل عمران آية ٣١
(٣) سورة النساء آية ٨٠

دفاع عن الإسلام والسنة
ورد على بعض الكُتاب المحدثين

نشر احد الكتاب فى مجلة « المصور » عده مقالات ، تناول فيها الحديث والشريعة الاسلامية والسنة النبوية من منظور عقلى بحت وكان بعيدا عن التحقيق العلمى ، وبعيدا عن الصواب .. بل وأحيانا بعيدا عن العقل السليم ..

فمما تناوله فى صـــدد الحديث عن الشريعة الاســـلامية فى مقاله يـــوم ١٩٨٤/١/٢٠م قوله : « انه نجم عن احجام الفقهاء عن تطوير الشريعة وفق ظروف العصر الذى يعيشون فيه وملاءمة فقههم لاحتياجاته وتجميدهم للأحكام مع اغـــلاق باب الاجتهاد أن ساد لدى الجميع الاعتقاد بأن أمر تطبيق الشريعة أمر نظرى بحت يمكن التأليف والحديث فيه وليس بالوسع محاولته » أ هـ .

ثم يقول : « ان أمر تطبيق الشريعة كان أمرا ميسورا وقت أن كان ذلك السلف الصالح على قيد الحياة وهو الآن متعذر لفساد الناس بعدهم وسيظل متعذرا الى ما شاء الله » .

وهذا الذى قاله عن تطبيق الشريعة وانه ليس بالوسع محاولة التطبيق انه يناقض الحق ويرد عليه القرآن الذى وضح أن تشريعات

الاسلام ميسرة سهلة التطبيق « وما جعل عليكم فى الدين من حرج » ؛ « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » ، « لا يكلف الله نفسا الا وسعها ، وليس صحيحا ما ادعاه هذا الكاتب من أن أمر تطبيق الشريعة كان ميسورا أيام السلف وهو الآن متعذر ؟ ! ثم يعلل قائلا : لفساد الناس بعدهم ، وهذا التعليل نفسه هو من أكبر الدواعى لتطبيق الشريعة ألا ترى أن الناس اذا فسدوا لا يصلحهم الا شرع الله ؟ الا ترى أن فى الحدود زواجر للمفسدين تزجرهم وتردعهم عن الفساد .. ان تطبيق الشريعة ليس متعذرا بل هو سهل ميسور ، وقد طبقته بلاد اسلامية كثيرة فسعدوا وأمنوا وظللهم الأمن والرخاء ، وشريعة الله صالحة لكل زمان ومكان ، وهى تصلح لكل زمان ومكان ، والقرآن الكريم تبيان لكل شىء ، ويهدى الى أقوم السبل « ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم » .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبدا كتاب الله وسنتى » .

ومن الخلط الذى لا دليل عليه أنه فى مقال يوم ١٠/٢/١٩٨٤ حين سئل ؟ « أهناك ما هو أفضل من أداء الصلوات فى أوقاتها ؟ » أجاب قائلا : « نعم حب خلق الله واحترام مشاعرهم » وهذا يخالف الحديث الذى يثبت أن أفضل الأعمال الصلاة على وقتها ، وأداء الصلاة على وقتها لا يتنافى أبدا مع حب خلق الله ومراعاة مشاعرهم وحتى لو كان من يجالسهم الانسان غير مسلمين فانه ان قام لعبادة ربه فلا شىء عليه فى مراعاة مشاعرهم بل على العكس انه يطيع ربه

وفى طاعة الله لا يؤاخذ الناس بعضهم بعضا فى ترك المجلس مثلا أو نحو ذلك ، ولا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق .

● ثم فى مقاله فى يوم ١٩٨٤/٢/٣ بعنوان رسالة من أمريكا ذكر فى هذا المقال كلاما يحمل تجريح الامام البخارى ، والتشكيك فى أكبر وأعظم وأصح كتب السنة الشريفة ، وذلك حين يقول « وقد أخطأ البخارى مع ذلك اذ كان الاسناد عنده هو قوام الحديث ان سقط سقط ، وان صح السند وجب قبول الحديث مهما كان مضمون المتن . وكانت النتيجة أنه أورد فى صحيحه بعض الأحاديث متينة الاسناد ظاهرا ، والتى يحوى متنها ما يخالف المنطق أو العلم أو التاريخ الثابت ، وأضيف الى هذا أننى لست أول من شك فى صحة بعض ما أورده البخارى .. »

كما أنه يكذب حديث : **« اذا وقع الذباب فى اناء أحدكم فليغمسه كله ثم ليطرحه فان فى أحد جناحيه داء وفى الآخر شفاء »**.

والحق أن أمير المؤمنين فى الحديث أبا عبد الله البخارى ، قدصنف كتابه « صحيح البخارى » من ستمائة ألف حديث ، فى ست عشرة سنة وقال جعلته حجة فيما بينى وبين الله . وقال : صنفت كتابى الجامع فى المسجد الحرام ، وما أدخلت فيه حديثا حتى استخرت الله تعالى وصليت ركعتين وتيقنت صحته .

ولقد دفعه الى تصنيف كتابه هذا ما رآه من انتشار الأحاديث الضعيفة عن طريق أصحاب الأهواء ، وبعض المنتسبين الى أهل الرأى حيث أوغلوا فى مخالفتهم للسنن . فاضطلع بدور هام ،

واخذ على عاتقه أن يخص الأحاديث الصحيحة بالجمع ، وأن يرتبها ترتيبا فقهيا وقوى عزمه ما سمعه من أستاذه الامام اسحاق ابن راهويه حين قال : « لو جمعتم كتابا مختصرا لصحيح سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم » ؟ قال البخارى : فوقع ذلك فى قلبى ، فأخذت فى جمع الجامع الصحيح ، كما شرح صدره لذلك رؤيا منامية رأى النبى صلى الله عليه وسلم ، والبخارى واقف بين يديه وبيده مروحة يذب بها عنه ، فسأل بعض المعبرين عن ذلك فقال انت تذب الكذب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

بهذا أحببت أن أوضح للكاتب ولكل من على شاكلته قيمة صحيح البخارى وهمة مصنفه ، وأن قوله : « لست أول من شك فى صحة بعض أحاديث البخارى » انما هو كلام من لم يدرس « صحيح البخارى » ولم يتعرف على منهاجه ولا مناهج المحدثين .

وليس صحيحا ما ادعاه من أن البخارى يعول على الاسناد فقط ، بل ان البخارى عنى بالاسناد والمتن معا ، وليس أدل على ذلك من أن البخارى وغيره من المحدثين عنوا بالمتن لدرجة أنهم وضعوا علامات تبين الوضع فى المتن مثل : مخالفة العقل السليم أو المشاهدة والحس مع عدم امكان تأويله تأويلا محتملا . كما ردوا من الأحاديث ما يخالف القرآن او السنة الصحيحة أو التاريخ مع تعذر التوفيق وهكذا مما هو مبسوط فى كتب أصول الحديث .

هذا بالاضافة الى أن البخارى اشترط أن يخرج الحديث المجمع على صحة نقلته الى الصحابى المشهور من غير اختلاف

بين الثقات الاثبات ، يكون اسناده متصلا غير مقطوع ، وان يكون راويه ثقة صادقا غير مدلس ولا مختلط ، متصفا بالعدالة والضبط متحريا سليم الذهن قليل الوهم سليم الاعتقاد .

فاشترط فى الاسناد الاتصال بنقل العدول الضابطين كما اشترط فى المتن أن يكون خاليا من الشذوذ والعلة ، واشترط فى (المعنعن) وهو الحديث الذى يأتى بصيغة : (عن فلان عن فلان.) اللقاء مع المعاصرة أى أن يكون الراوى قد عاصر من روى عنه وثبت لقاؤه به ، كما اشترط الثقة وعدم التدليس .

فهل بعد هذا كله يدعى الكاتب أن الاسناد عند البخارى هو قوام الحديث ان سقط سقط ، وان صح السند وجب قبول الحديث مهما كان مضمون المتن ؟!

ثم أين تلك الأحاديث التى يدعى أنها تجافى المنطق أو العقل أو التاريخ ؟!

انه ليس فى صحيح البخارى من ذلك شىء ، اللهم الا اذا كانت — فقط — تجافى منطق الجاهلين بالسنة وبمعانيها .

وقد حاول الكاتب أن يؤكد التشكيك فى صحيح البخارى حين يقول « لست أول من شك فى صحة بعض ما أورده البخارى » !!

واحب أن أوضح له ولأمثاله أن نقاد الحديث وجهابذته قد تدارسوا كتاب صحيح البخارى ، حديثا حديثا ، فشهدوا له

بالصحة . يقول ابو جعفر العقيلى : لما صنف البخارى كتاب الصحيح عرضه على على بن المدينى وأحمد بن حنبل ويحيى بن معين وغيرهم فاستحسنوه ، وشهدوا له بالصحة الا أربعة احاديث، قال العقيلى : والقول فيها قول البخارى وهى صحيحة لهذا كله أجمعت الأمة على تلقيه بالقبول ، واتفق العلماء على أن أصح الكتب بعد كتاب الله تعالى الصحيحان للامامين الجليلين البخارى ومسلم .

وجميع ما فى صحيح البخارى صحيح ليس فيه ضعف ، وانما كان نقد البعض فيما سبق موجها الى بعض أحاديث لم تصل فى صحتها الدرجة القصوى التى التزمها الامام البخارى ، وهى فى حقيقة الأمر صحيحة ، ولكنه كان يلتزم فى كتابه بشروط فى غاية الدقة والحيطة .

واما الحديث الذى تكلم عنه حسين أمين وكذبه وهو حديث « اذا وقع الذباب . . » فقد رواه البخارى ، وابن ماجه ، وابو داود، والنسائى ، ولم يطعن أحد من علماء الحديث فى سنده بل هو فى درجة عالية من الصحة .

وقد وضح علماء الحديث أنه لا مانع عقلا أن يجمع الله الداء والدواء فى شىء واحد ، بل ان هذا موجود ومحسوس ألا ترى النحلة تلقى السم من أسفلها وتخرج عسلا فيه شفاء للناس من فيها ؟ .

وشاء الله تعالى أن يكتشف بعض العلماء والأطباء أن فى الذباب مادة قاتلة للميكروب وأن الأستاذ الألمانى « بريفليد » اكتشف ذلك وليس معنى هذا أن نتهاون فى أمر الذباب ، فان الاسلام دين النظافة حرص فى كل تشريعاته على وقاية الصحة ، والبعد عن التهلكة ، ولأن الذباب مما يتعذر دفعه أحيانا ، فاذا دعت الضرورة ووقع فى الاناء واحتاج الانسان اليه ولم تعفه نفسه فان الحديث يكشف عن شيء كان غامضا على الناس وهو ما يحتوى عليه الذباب من مادة مضادة للميكروب ، فان نحن غمسنا الذبابة وخرج السائل قتلت المادة الموجودة فيه تلك الجراثيم المرضية .

وهكذا يكشف لنا الحديث عن دلالة من دلائل القدرة الالهية بين الداء والدواء فى ابسط المخلوقات .. كما يتبين لنا أن هذا الحديث الذى طعن فيه الطاعنون يعتبر من المعجزات الدالة على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم .

والحق أن مثل هذه الأمور التى أخبر بها الرسول صلى الله عليه وسلم والتى صدقها العلم الحديث باكتشافاته فانها لا يضبطها حدس ولا تخمين ولا يحصرها قياس ولا اكتشاف ، وهى وان أعطتنا ما نطمئن الى صحته فليست وحدها الدليل على صحة الحديث ، لأن الذى جاء به البشر خاضع للخطأ والصواب خاضع لاختلاف الآراء ، أما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم فهو فوق ذلك كله ، لأن المخبر به معصوم من الخطأ .

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾ (١)

وقد أمر الله تعالى بأخذ ما جاءت به السنة النبوية ، وترك ما نهت عنه :

﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ (٢)

ولقد اتبع هذا الكاتب ما قاله المستشرقون وأعداء السنة من أن البخارى وغيره من المحدثين لم يهتموا بمتن الحديث .

والحقيقة أن مثل هؤلاء الكتاب لو أمعنوا النظر لوجدوا كيف كان حكم المحدثين والأئمة على الأحاديث — صحة وضعفا — ولوجدوا عناية المحدثين بالمتن كثيرا كالسند بل فى كثير من الأحيان يكون النقد للسند أو الرواة مرجعه فيما نقله أو رواه من مناكير أو موضوعات ، فيقول أئمة الحديث مثلا : « حديث منكر أو باطل » ويقولون فى الراوى « يحدث بالمناكير » أو « منكر الحديث ومعظم ذلك راجع الى جهة المعنى .

ومما سبق يتضح لنا ما وضعه علماء الحديث من القواعد الهامة التى عرفوا بها الحديث الصحيح من الموضوع ، ووجهوا جهودهم الى نقد السند والمتن على السواء ، وبجهودهم الموفقة صان الله

---

(١) سورة النجم آية ٤ — ٥
(٢) سورة الحشر آية ٧

السنة النبوية المشرفة من تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين ، وكما تكفل الله تعالى بحفظ كتابه الكريم وحفظه فعلا .

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ (١)

حفظ السنة الصحيحة المبينة للقرآن :

﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ ﴾ (٢)

ولقد طالعتنا صحيفة الأهرام القاهرية يومى ٢/١٣ ، ١٩٨٥/٢/٢٠م بمقالين للأستاذ عبد الرحمن الشرقاوى ، شن فيهما هجوما ظالما ، وقذفا صريحا على وعلى أخى الدكتور عبد الصبور شاهين .. كان هذا عقب اذاعة « ندوة للرأى » المسجلة فى كفر الشيخ .

وكنت أود منه أن يناقش أو يبدى فى المسائل العلمية التى قلناها ولو رأيا واحدا .. ولكنه للأسف ترك الناحية العلمية المتعلقة بعدالة صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى موضوع الاجابة فى الندوة ، وراح يسبنا ويقذفنا مختلقا من التهم ، وملقيا بالتجريح والقذف ما لا يليق أن يصدر من انسان لانسان.. ان تجريحنا نحن العلماء ، وقذفنا على هذا النحو الذى طالعتنا

(١) سورة الحجر آية ٩
(٢) سورة القيامة آية ١٧ — ١٩

به جريدة الأهـــرام جريمة خطيرة ، فاذا ما انضم اليها ما نال من قبلنا من علماء الاســـلام كالامام عبد الحليم محمود والشيخ الغزالى وغيرهما .. كان ذلك عدوانا صريحا مخططا له ، فاذا ما انضـم الى هذا وذاك ، من قبل ومن بعد ما نال أصـحاب الرســول صلى الله عليه وسلم من تجريح كان محاولة للنيل من الاســلام نفسه ، وكان السكوت على هــذا ، سكوتا على منكر وحربا لعقيدتنا .

فهل يرضى الكاتب لعقيدة ما أو لدين ما أن يجرح شهوده ونقلته فضلا عن أن يكون هذا الدين هو الاسلام الذى ختم الله به الشرائع وبرسوله جميع الرسل والنبيين لابد ـــ احقاقا للحق ـــ أن أوضح بايجاز شديد ما قلته وما قاله زميلى فى هذه الندوة التى أثارت الكاتب، ليرى القراء هل يحجر علينا نحن العلماء أن ندافع عن الاســلام وشهوده من الصحابة ؟ ! هل السكوت على تجريح الصحابة أصبح أمرا ســهلا بهذه الصورة ؟ !

لقد وجه السؤال لنا فى ندوة الرأى عن الصــحابة وحكم عدالتهم وحكم من يجرحهم فأجبنا اجابة علمية ، وقــد أثبت عدالة الصحابة التى جاءت فى القرآن فى قوله تعالى :

﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ﴾ (١)

(١) سورة التوبة آية ١٠٠

وقال عليه الصلاة والسلام : (لا تسبوا أصحابى فوالذى نفسى بيده لو أنفق أحدكم مثل أحـد ذهبا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه) وبينت أن الصحابة رضى الله عنهم أجمعين عدول حتى من لابس الفتن منهم ، وهم حملة الاسـلام ونقلة الكتاب والسنة فتجريحهم تجريح للاسـلام وكان كـلام الامام أبى زرعة المحدث واضـحا حين يقول فيمن ينال من الصحابة : (اذا رايت الرجل ينتقص أصـحاب رسـول الله صـلى الله عليه وسلم فاعلم بأنه زنديق وذلك لأن الرسول حق والقرآن حق وما جاء به حق وانما أدى ذلك كله الينا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهؤلاء يريد أبو زرعة بذلك الزنادقة يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة ، والجرح بهم أولى) أى بهولاء الزنادقة ، ثم وضحت مكانتهم ودورهم فى الاسلام ثم قلت : « ان نقد الصحابة وتجريحهم هو نفسه الباب الذى ولج فيه المستشرقون وأعداء الاسلام ، وحاولوا أن يطعنوا هذا الدين فى شخص هؤلاء الصحابة الذين حاول البعض تنقيصهم اننا حين نأخذ مثل هذه الكتب أو حين يقع فى يد أحد منا كتاب من هذه الكتب أو مقالة من هـذه المقالات ويرى تجريحا للصحابة أو نقدا لهم فهو ان لم يملك شيئا فليمزق هذا النقد وليضرب عليه دون أن يضع له مكانا فى ذهنه ولا فى قلبه ».

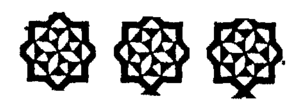
فهل الدفاع عن الصحابة وعدالتهم التى قررها القرآن والسنة وأئمة الاسلام يستحق هذه الاتهامات وذلك القذف الظالم ؟ !

أما ما قاله الزميل الفاضل د. عبد الصبور شاهين فهو : « وموقفنا أننا نحترم الكل ونحب الكل دون تفرقة ودون تمييز ،

أما ما يتعلق بمواقف الصحابة واختلافاتهم فيما بينهم ، فاذا كانت هذه الاختلافات واقعا تاريخيا فهو يعنى الصحابة وقد مرت بعد وقوعه قرون زادت على اثنى عشر أو ثلاثة عشر قرنا فما بالنا نبعث هذه الاختلافات من الأجداث والقبور كأنما نحن مغرمون بالانتكاس نعيش دائما آلام السابقين » .. ثم قال « ولقد بدأت تنبعث فى العالم الاسلامى فكرة التفرقة بين السنة والشيعة وهى فتنة ينبغى أن تخمد لأن العصر قد تجاوز هذه الدعاوى تماما ولم يعد يعيش عليها الا المتعفنون فكريا أولئك الذين يثيرون شقاقا بين جناحى الأمة فالاسلام واحد والرب واحد والدين واحد :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ (١)

هل فى هذا الكلام الذى قلته وقاله زميلى دفاعا عن الاسلام وشهوده من الصحابة رضى الله عنهم ما يستحق هذه الحروف الحانقة التى سطرها الكاتب أسأل الله تعالى أن يحمى عقيدتنا وتراثنا من تحريف الغالين وانتحال المبطلين .



---

(١) سورة الأنعام آية ١٥٩

التصدى لهذهِ الحملات

يتلخص منهج التصدى لهذه الحملات بدراسة الدوافع التى دفعت بأصحابها خاصة اذا كانوا ممن ينتمون الى الاسلام ، ولم تقولوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ثم الرد عليهم .. ثم قيام علماء الحديث فى الجامعات الاسلامية ، والدوائر العلمية المختلفة بانجاز موسوعة عالمية للسنة النبوية تجمع كل ما يمكن جمعه من صحيح الأحاديث النبوية والقدسية الموجودة فى الكتب المطبوعة والمخطوطة .

وتكون هذه الموسوعة عالمية يشارك فيها كل من كان معروفا بالاهتمام بالسنة والاشتغال بالحديث النبوى بحيث تخرج فى أدق صورة ، وفى أحسن منهج ، وأن تكون مضبوطة بالشكل ، وأن يكتفى فيها بشرح غريب الحديث فقط حتى لا تطول .

ويحرص كل مسلم على أن تكون فى بيته بجوار المصحف الشريف .. وأن يكون ما فيها من أحاديث موضع اتفاق على صحته من العلماء .

هل يجوز الاحتجاج بالحديث فى اللغة والنحو ولماذا تحرج الأئمة من روايته فى الاستشهاد ؟

تحرج أئمة اللغة من رواية الحديث ، خوفا من الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد أدركهم هذا الخوف كما أدرك الرعيل الأول ، فنرى اماما : كالأصمعى يتجنب رواية الحديث الا قليلا .

واختار العلماء الاتجاه الأمثل فى الاحتياط والورع ، حفاظا على السنة النبوية .

وكان بعض الأئمة : كشعبة بن الحجاج ـ وهو من كبار أئمة الحديث ـ يميل الى رواية الشعر ، وحين يعجب له أهل الحديث ويقولون : يا أبا بسطام نقطع اليك ظهر الابل لنسمع منك حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتدعنا وتقبل على الأشعار ؟ فيجيبهم قائلا : يا هؤلاء أنا أعلم الأصلح لى ، أنا والذى لا اله الا هو فى هذا أسلم منى فى ذلك .

وكانوا فى رواية الأشعار يتأثرون بطريقة الحديث فى التحرى. ومن العجب : أنهم لم يستشهدوا بالحديث مع أن شروط المحدثين كانت أدق وأقوى ، ولعل السبب فى ذلك هو انصراف اللغويين

والنحويين الى ما يرويه لهم رواة الأشـــعار ، وهذا الانصراف استغرق جهودهم ، كما جاء فى « أصـــول النحو » للأستاذ سعيد افغانى حيث قال :

« ولكن ذلك أى : الاحتجاج بالحديث لم يقع كما ينبغى ، لانصراف اللغويين والنحويين الى ثقافة ما يزودهم به رواة الأشعار خاصة ، انصرافا استغرق جهودهم ، فلم يبق فيهم لرواية الحديث ودرايته بقية ، فتعللوا لعدم احتجاجهم بالحديث بعلل كلها واردة بصورة أقوى على ما احتجوا به هم أنفسهم من شعر ونثر » أهـ .

وقد تعلل الذين منعوا الاحتجاج بالحديث فى اللغة والنحو : بأنهم لم تكن لديهم الثقة الكاملة بأن تلك المرويات من لفظ الرسول صلى الله عليه وسلم . يقول أبو حيان الأندلسى : « انما ترك العلماء ذلك لعدم وثوقهم أن ذلك لفظ الرسول صلى الله عليه وسلم ، اذ لو وثقوا به لجرى مجرى القرآن فى اثبات القواعد الكليـــة » ا هـ .

فقد رأوا ان الرواة قد أجازوا نقل القصة الواحدة بألفاظ مختلفة ، وأنهم جاءوا بالمرادف ، ولم يأتوا باللفظ النبوى الفصيح، كالروايات التى جاءت فى حديث : « زوجتكها بما معك من القرآن » وفى رواية أخرى « ملكتكها بما معك من القرآن » . وفى أخرى : « خذها بما معك من القرآن » . وفى رواية رابعة « أنكحناكها بما معك من القرآن » .

كما كان من أسباب منعهم أيضا من الاحتجاج بالحديث فى اللغة والنحو : حدوث بعض اللحن فى بعض الروايات ، لأن بعض الرواة كانوا غير عرب ، فوقع اللحن فى كلامهم ..

تلك دعوى القائلين بمنع الاحتجاج بالحديث النبوى فى اللغة والنحو ، ونرد على هؤلاء فنقول :

ان من المعلوم : أن الحديث تجوز روايته بالمعنى ، وان جواز الرواية بالمعنى محوط بشروط هى غاية فى الدقة ، تلك الشروط والقواعد لم تتوافر لأى ثقافة فى الدنيا ، ومعلوم أن الصحابة والتابعين وكبار أئمة الفقهاء لو غير أحدهم لفظا بآخر مرادف له لكان على النحاة أن يقدموه على غيره لتمكن صاحبه من العربية الفصحى ، ومعايشته للبيئة العربية الصحيحة ولذا : قال الامام : أحمد بن حنبل فى شأن الامام الشافعى « ان كلامه فى اللغة حجة » . هذا على القول بالرواية بالمعنى مع أن أهل الصدر الأول كانوا يتشددون فى الرواية باللفظ ولا يتساهلون فى حرف واحد ، فهاهو الأعمش يقول : « أحب الى أن أخر من السماء ولا أزيد فى الحديث واوا أو ألفا أو دالا » . هذا فضلا عن أن بعض الأئمة تشدد فمنع الرواية بالمعنى فى الحديث المرفوع لمكانته فى التشريع ، وأجازها فى الموقوف والمقطوع ، وما كانت الرواية بالمعنى جائزة الا للعارف بالشريعة ومقاصدها ، العالم بمدلولات الألفاظ ، وبالنحو والصرف ، وبأداء الحديث خاليا من اللحن .

وأغلب الظن : أن عذرهم فى ذلك ندرة الرواية ، وقلة التصنيف فى الحديث ، يقول الأستاذ سعيد الأفغانى : « وأغلب

الظن أن من لم يستشهد بالحديث عن المتقدمين لو تأخـر به الزمن الى العهد الذى راجت فيه بين الناس ثمرات علماء الحديث: من رواية ودراية لقصروا احتجاجهم عليه بعد القرآن الكريم ، ولما التفتوا قط الى الشواهد التى لا تلبث أن يطوقها الشك اذا وزنت بموازين فن الحديث العلمية الدقيقة » ا هـ .

ولقد أخذ علماء الحديث أنفسهم بمقاييس دقيقة ، وموازين علمية فى روايتهم للحديث ، وفى تحملهم وأدائهم له ، بأنهم يعرفون ويقدرون خطورة اللحن أو الخطأ أو الكذب فى الحديث ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » .

من أجل هذا كله : نرى أن المحدثين أحاطوا روايتهم بشروط اشترطوها فى الراوى والمروى ، وبقواعد دقيقة التزموا بها ، حفاظا على اللفظ الفصيح . يقول الدكتور صبحى الصالح فى كتابه (علوم الحديث ومصطلحه) : وان هذه المقاييس التى أخذ بها المحدثون أنفسهم لدى رواية المتون — الى جانب ما التزموه من دقة بالغة لدى رواية الأسانيد — لتؤكد تأكيدا قاطعا أن مانعى الاحتجاج بالحديث من اللغويين والنحويين المتقدمين ارتكبوا خطأ جسيما ، حين تعللوا بأن مرويات الحديث لا تؤنس الثقة بأنها من لفظ النبى العربى الكريم ، فان هؤلاء المانعين أنفسهم عرفوا — كما عرف المجيزون — « أن ما فى روايات الحديث من ضبط ودقة وتحر لا يتحلى ببعضه كل ما يحتج به النحاة واللغويون من كلام العـــرب » .

دعوى ان العلماء لم يعنوا بالحديث
والرد على ذلك

بعد أن رأينا جهود علماء السنة فى حفظها ونشرها ونقلها وروايتها ، وضبطهم ودقتهم ، بعد هذا كله : يظهر من يقول : ان العلماء لم يولوا الحديث ما يستحق من العناية والدرس !!

فها هو ذا « أبو رية » يقول فى كتابه « أضواء على السنة المحمدية » :

« وعلى أنه — والضمير يعود على الحديث — بهذه المكانة الجليلة ، فان العلماء والأدباء لم يولوه ما يستحق من العناية والدرس ، وتركوا أمره لمن يسمعون رجال الحديث يتداولونه فيما بينهم ، ويدرسونه على طريقتهم ، وطريقة هذه الفئة التى اتخذتها لنفسها قامت على قواعد جامدة لا تتغير ولا تتبدل ، فترى المتقدمين منهم — وهم الذين وضعوا هذه القواعد — قد حصروا عنايتهم فى معرفة رواة الحديث ، والبحث على قدر الوسع فى تاريخهم ، ولا عليهم ، ان كان ما يصدر من هؤلاء صحيحا فى نفسه ، أو غير صحيح ، معقولا أو غير معقول .

ثم جاء المتأخرون منهم فقعدوا وراء الحدود التى أقامها من سبقهم ، ووقف هؤلاء عند ظواهر الحديث كما ادت اليه الرواية .. من غير بحث ولا تمحيص لها » الخ ما كتب .

الرد على هذه الشبهة

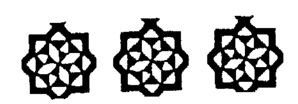
واضح من هذا الكلام تأثر صاحبه بالمستشرقين والمبشرين الذين لم يتخلصوا من التبعية العمياء ، والتعصب المقوت ولو نظر الى جهود علماء المسلمين فى خدمة الحديث ما سوغ لنفسه أن يقول ما قال . فقد بذل علماء الاسلام : من محدثين وفقهاء ، وغيرهم من علماء البلاغة والأدب والأخلاق ، وغير ذلك ، أقصى ما فى الوسع الانسانى : شرحا وتحقيقا ، واستنباطا للأحكام الفقهية من الأحاديث النبوية بالنسبة للفقهاء ، واستخلاصــا للمواعظ والعبر ، وللفضائل الاخلاقية . ونهض علماء الأخلاق فأفادوا كثيرا من الكتابة فى هذا الجانب ، كما كتب علماء البلاغة والأدب ما يتصل بثقافتهم ، فكشفوا ما تحتوى عليه السنة النبوية من جمال فنى وادبى كما فى كتاب : « البلاغة النبوية » للأستاذ مصطفى صادق الرافعى رحمه الله تعالى .

وكم حاول الكاتب أن ينقص من قيمة المحدثين ، وأن يرميهم بالجمود ، ولكن غمزه لهم لن ينقص من قيمتهم ، وأن ما صنعه

المحدثون من قواعد النقد فيما يتصل بالراوى والمروى لهى أدق ما وصل اليه النقد قديما وحديثا .

ويقول فضيلة الدكتور محمد أبو شهبة :

« والمتأخرون لم يأتوا فى ذلك بأمر جديد ذى خطر ، اللهم الا فى الاستفادة بما جد من المعارف النفسية ، والتوسع فى التطبيق، ولو أنصف المؤلف لعقد مقارنة بين قواعد المحدثين وقواعد غيرهم ممن يرتضيهم . ثم خلص من ذلك الى نتيجة صادقة » ا هـ .



خاتمة

وهكذا : نرى كيف تعرضت السنة النبوية ـــ قديما وحديثا ـــ لسهام أعداء الاسلام ، الذين عجزوا عن التعرض لكتاب الله تعالى ، لأن الله سبحانه قد تكفل بحفظه ، قال جل شأنه :

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ (١)

ولكن رب العزة سبحانه الذى تكفل بحفظ كتابه ، قد قيض لحفظ السنة الشريفة رجالا أمناء ضابطين ، صانوها من تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين .

فالسنة : هى المصدر الثانى للتشريع الاسلامى بعد القرآن الكريم ، وهى المفسرة والمفصّلة له ، فلم يكن بدعا أن يصونها الله كما صان كتابه ، لأنها التى يعرف بها أحكام الدين وتفسر بها قواعـــده .

---

(١) سورة الحجر آية ٩

وقد أمر الله تعالى عباده ، أن يلتزموا بما جاءت به السنة من أوامر ونواه .

حيث قال سبحانه وتعالى .

﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ (١)

ومن العجب ، ومجافاة الحق والصواب ، أن تطفو على صفحات الحياة بعد هذه الجهود والدلائل ، دعوات خبيثة تدعو الى الاقتصار على القرآن الكريم ، وترك السنة النبوية .

وواضح أن فى ترك السنة استعجاما للقرآن ، وعدم معرفة لمعناه ولا لأحكام الدين .

وقد أمر الله تعالى بطاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ، والرجوع اليه عند الاختلاف ، والى سنته بعد وفاته قال سبحانه :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ ﴾ (٢)

---

(١) سورة الحشر آية ٧

(٢) سورة النساء آية ٥٩

ويقول ميمون بن مهران : الرد الى الله هو الرجوع الى كتابه ، والرد الى الرسول هو الرجوع اليه فى حياته ، والى سنته بعـــد وفاته .

ويقول الله تعالى :

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ (١)

وبالله التوفيق .

وصلى الله على صاحب السنةالمطهرة المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم آمين .

---

(١) سورة النساء آية ٦٥ .

استغفار ودعاء

● سيد الاستغفار :

قال الامام البخارى رحمه الله تعالى :

حدثنا أبو مَعْمَرٍ حدثنا عبدُ الوَارِثِ حدثنا الحُسَيْنُ حدثنا عبدُ الله بنُ بُرَيدَةَ حدثنى بُشير بنُ كَعْبٍ العَدَوِىُّ قال : حدثنا شدَّادُ بنُ أَوْس رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال :

« سَيِّدُ الاستغْفَارِ أَنْ يَقُولَ : اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّى لا إِلَهَ إلَّا أَنْتَ ، خَلَقْتَنِى ، وأَنَا عَبْدُكَ وأنا على عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتطعْتُ أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمتِكَ عَلَىَّ ، وأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِى فاغْفِرْ لى إنه لَا يغْفِرُ الذُّنُوبَ إلَّا أَنْتَ . قَالَ : وَمَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقناً بها فمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبلْ أَنْ يُمْسىَ فهُوَ مِنْ أَهْلِ الجنَّةِ ، ومَنْ قَالَها مِنَ اللّيْل وهُوَ مُوقن بِهَا ، فمَاتَ قبل أن يُصْبحَ فهُوَ منْ أَهْلِ الجنة »[1]

---

(١) رواه البخارى فى صحيحه فى كتاب الدعوات .

● الدعاء :

قال الإمام البخارى رحمه الله تعالى :

حدثنا محمد بنُ بَشَّارٍ : حدثنا عبدالملكِ بنُ الصَّبَّاح حدثنا شُعْبَةُ عَنْ أَبِى إسْحَاقَ عَنْ أَبيهِ عن النبى ﷺ أنه كانَ يَدْعو بهذَا الدعاء :

« رَبِّ اغْفِرْ لى خطيئتى وجَهْلِى وإسْرَا فى فى أَمْرِى كُلِّهِ ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّى ، اللَّهُمَّ اغْفِرْلِىَ خطاياىَ وعَمْدِى وجَهْلى وَجِدّى ، وكُلُّ ذلك عِنْدِى[1] ، اللَّهُمَّ اغْفِرْلى مَاقَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ وَمَا أسْرَرْتُ وما أَعْلَنْتُ ، أَنْتَ المقَدّمُ وَأَنْتَ الْمؤَخِرُ ، وَأَنْتَ عَلَى كُلّ شَىْءٍ قَدِيرٌ »[2].

---

(١) أى موجود أو ممكن ، وهذا من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين أو قاله تعليما لأمته ، وإلا فهو ﷺ معصوم .

(٢) رواه البخارى فى صحيحه فى كتاب الدعوات .

أهم المراجع

١ — القرآن الكريم .

٢ — اختلاف الحديث للامام الشافعى ، طبع بولاق سنة ١٣٢٦هـ .

٣ — الاصابة فى تمييز الصحابة لابن حجر طبع بمصر سنة ١٣٢٣هـ .

٤ — اعلام المحدثين للدكتور محمد أبى شهبة ، دار الكتاب العربى بمصر سنة ١٩٦٣م .

٥ — الامام البخارى محدثا وفقيها للدكتور الحسينى هاشم .

٦ — الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث لابن كثير تحقيق الشيخ أحمد شاكر ، مطبعة صبيح سنة ١٣٧٠هـ .

٧ — تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ، مطبعة كردستان بمصر سنة ١٣٢٦هـ .

٨ — تاريخ بغداد للخطيب البغدادى ، طبع مطبعة السعادة سنة ١٣٤٩هـ .

٩ ــ تاريخ فنون الحديث للأستاذ محمد عبد العزيز الخولى ، مطبعة المنار بمصر ١٩٣٩ .

١٠ ــ تدريب الراوى للسـيوطى تحقيق وتعليق الدكتور احمد عمر هاشم ، دار الكتاب العـربى ــ بيروت (١٤٠٥هـ ــ ١٩٨٥م) .

١١ ــ تذكرة الحفاظ للذهبى ، طبع الهند عام ١٣٣٣ هـ .

١٢ ــ تقريب التهذيب تحقيق الدكتور عبد الوهاب عبداللطيف، طبع دار الكتب .

١٣ ــ تقييد العلم للخطيب البغدادى تحقيق د. يوسـف العش ، طبع فى دمشق سنة ١٩٤٩ هـ .

١٤ ــ تهذيب التهذيب لابن حجر ، طبع الهند سنة ١٣٢٥هـ .

١٥ ــ توجيه النظر الى أصول الأثر للشيخ طاهر الجزائرى سنة ١٣٢٨هـ ط. الخانجى .

١٦ ــ حامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ، المطبعـة المنيريه

١٧ ــ جامع الترمذى ، طبع بولاق سنة ١٢٩٢هـ .

١٨ ــ الحديث والمحدثون للدكتور محمد ابى زهو ، مطبعة مصر سنة ١٣٧٨هـ .

١٩ ــ دفاع عن السنة : الدكتور محمد أبو شهبة ، مطبعة مصر سنة ١٩٦٧م .

٢٠ ــ دفاع عن العقيدة والشريعة ضذ مطاعن المستشرقين للشيخ محمد الغزالى ، مطبعة السعادة سنة ١٣٨٣هـ .

٢١ ــ نخائر المواريث فى الدلالة على مواضـع الأحاديث للنابلسى ، مطبعة جمعية النشر والتأليف الأزهرية سنة ١٣٥٢هـ .

٢٢ ـــ الرسالة للامام الشافعى تحقيق الشيخ أحمد شاكر ، مطبعة الحلبى سنة ١٣٥٨هـ .

٢٣ ـــ الرسالة المستطرفة لمحمد بن جعفر الكتانى ، طبع دار الفكر بدمشق سنة ١٣٨٣هـ .

٢٤ ـــ رفع الملام عن الأئمة الاعـــلام لابن تيمية ، طبـــع الهند سنة ١٣١١هـ .

٢٥ ـــ سنن أبى داود ، طبع مصر سنة ١٣٦٩هـ .

٢٦ ـــ سنن النسائى ، المطبعة الميمنية سنة ١٣١٢ هـ .

٢٧ ـــ سنن ابن ماجه بحاسية السندى ، المطبعة العلمية سنة ١٣١٣هـ .

٢٨ ـــ سنن الدارمى ، شركة الطبـــاعة الفنية المتحـــدة سنة ١٣٨٦هـ .

٢٩ ـــ السنة ومكانتها فى التشريع الاسلامى ، د. مصطفى السباعى ، طبع دار العروبة بالقاهرة سنة ١٣٨٠هـ .

٣٠ ـــ السنة قبل التدوين د. محمد عجاج الخطيب ، مطبعة مخيمر .سنة ١٣٨٣هـ .

٣١ ـــ شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادى ، مخطوط بدار الكتب المصرية .

٣٢ ـــ صحيح البخارى بحاشية السندى ، طبع دار احياء الكتب العربية بالقاهرة .

٣٣ ـــ صحيح مسلم بشرح النووىالمطبعة المصرية بالقاهرة سنة ١٣٤٩هـ .

٣٤ ـــ الطبقات الكبرى لابن ســـــعد ، طبـــع دار بيروت للطباعة والنشر .

٣٥ ــ طبقات الشافعية لابن السبكى ، مطبعة مصطفى الحلبى سنة ١٣٨٣هـ .

٣٦ ــ العقيدة والشريعة فى الاسلام ، لجلولد تسيهر ، ترجمة : الدكتور محمد يوسف موسى وزملائه ، طبع دار الكتاب العربى سنة ١٣٧٨هـ .

٣٧ ــ علوم الحديث لابن الصلاح ، مطبعة الاستقامة سنة ١٣٢٦هـ .

٣٨ ــ علوم الحديث ومصطلحه د. صبحى الصالحى ، الطبعة الخامسة سنة ١٣٨٨هـ .

٣٩ ــ عمدة القارى شرح صحيح البخارى ، طبع المطبعة المنيرية .

٤٠ ــ فتح البارى لابن حجر ، طبع المطبعة الخيرية سنة ١٣٢٩هـ .

٤١ ــ قواعد التحديث للقاسمى ، طبع عيسى الحلبى سنة ١٣٨٠هـ .

٤٢ ــ القرآن والنبى ، د. عبد الحليم محمود ، طبع دار النصر .

٤٣ ــ فى رحاب السنة للدكتور محمد أبو شهبة ، طبع مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر سنة ١٣٨٩هـ .

٤٤ ــ الكامل فى التاريخ لابن الأثير ، مطبعة المنيرية بمصر سنة ١٣٤٨هـ .

٤٥ ــ الكفاية للخطيب البغدادى ، تحقيق د. احمد عمر هاشم ، طبع دار الكتاب العربى ببيروت .

٤٦ ــ اللآلىء المصنوعة فى الأحاديث الموضوعة للسيوطى، طبع المطبعة الأدبية سنة ١٣١٧هـ .

٤٧ ــ المبشرون والمستشرقون فى موقفهم من الاسلام للدكتور محمد البهى ، مطبعة الأزهر .

٤٨ ــ المسند للامام أحمد بن حنبل ، تحقيق الشيخ أحمد شاكر والدكتور أحمد عمر هاشم .

٤٩ ــ مسند اسحاق بن راهويه ، مخطوط بدار الكتب المصرية .

٥٠ ــ المنطق الحديث ومناهج البحث للدكتور محمود قاسم ، مطبعة مخيمر .

٥١ ــ المنهج الحديث فى علوم الحديث للدكتور محمد محمد السماحى ، طبع دار الأنوار سنة ١٣٨٢هـ .

٥٢ ــ الموطأ للامام مالك ، تحقيق الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى ، طبع الحلبى سنة ١٣٧٠هـ .

٥٣ ــ ميزان الاعتدال للذهبى ، طبع مطبعة السعادة سنة ١٣٢٥هـ .

٥٤ ــ السنة النبوية وعلومها للدكتور أحمد عمر هاشم ، طبع مكتبة غريب (١٩٨٩م ــ ١٤٠٩هـ) .

٥٥ ــ مناهج المحدثين للدكتور أحمد عمر هاشم ، طبع مطبعة السعادة .

فهرس الكتاب

الموضوع	الصفحة

الفصل الثالث

الموضوع	الصفحة

الفصل الرابع

الموضوع **الصفحة**

الفصل الخامس

رقم الايداع بدار الكتب

١٩٨٩ / ٧٥٢٨

مطابع الأهرام بكورنيش النيل

مركز السيرة والسنة

يضم هذا المركز نخبة ممتازة من المتخصصين فى علوم السنة وفى التاريخ الإسلامى ويتكون من لجنتين إحداهما للسيرة النبوية والثانية للحديث النبوى الشريف وقد وضع المركز منهاجا لعمله يوضح أهدافه ومسيرته ويتلخص هذا المنهاج فيما يلى :

أولا : تقديم مجموعة من الكتب صغيرة الحجم يخصص كل كتاب منها فى جانب من جوانب السيرة أو السنة النبوية ويراعى فيه سهولة الأسلوب ووضوح العبارة وعدم الإغراق فى التفاصيل والآراء المختلفة ، والهدف منها تقديم السيرة والسنة لجماهير القراء بعيدة عن الشبهات نقية من الأوهام والأباطيل .

ثانياً : كتابة موسوعة كبرى ومرجع كامل للباحثين فى سيرة الرسول ﷺ يعالج كل جوانب السيرة ويرد على الشبهات التى دست فى كتب السيرة منذ القرون الماضية .

ثالثاً : مراجعة أمهات الكتب فى السيرة والسنة والتعليق عليها وتصحيح ما يحتاج إلى تصحيح مما ورد فيها .

رابعاً : اختيار مجموعات من الأحاديث النبوية التى تتعلق بالمعاملات والآداب الاجتماعية وشرحها بأسلوب واضح وتخريجها تخريجا دقيقا .

خامساً : ترجمة بعض الأعمال التى تصدر عن لجنتى السيرة والسنة إلى اللغات الحية وإلى لغات الدول الإسلامية غير العربية .

سادساً : الاتصال بمراكز السيرة والسنة فى البلاد العربية والإسلامية وتبادل المعلومات والأفكار والمطبوعات .

ومن الله العون وبه التوفيق . .

مطابع الأهرام بكورنيش النيل

الثمن ١٦٠ قرشا